الخلفاء الراشدون

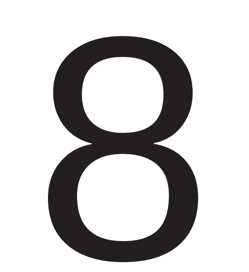
للأطفال والناشئة

تأليف

مسعد حسين محمد




الخلفاء الراشدون
للأطفال والناشئة



الخلفاء الراشدون

للنشر والتوزيع

الطبعة الثانية
١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

رقم الإيداع



الخلفاء الراشدون

تأليف

مسعد حسين محمد




بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجميعين:

وبعد:

أبنائي الأعزاء: اعلموا - حفظكم الله-، أنه لابد عند اجتماع عدد من الأحياء، سواء كان هذا العدد من بني الإنسان، أو الحيوان، أو من عالم الطير، أو عالم الحشرات أو غير ذلك من العوالم التي تعيش في هذا الكون، لابد لأفراده أن يجعلوا لهم رئيسًا يسمع الجميع كلامه، ويقتدون بأمره وينفذون تعليماته.

وأمة الإسلام أو أي أمة في الوجود، لا تكون أمة قوية حتى تُقوي وتعرف أصلها وماضيها، وحتى يتسلح أطفالنا ويتعرفوا على مجدهم القديم، لابد لهم أن يتعرفوا على خير جيل في خير أمة، وكذلك لابد أن يتعرفوا على خلفاء الرسول ﷺ، وهم الخلفاء الراشدون، الذين كانوا سببًا في تأسيس أعظم أمّة





أخرجت للناس، وكانوا سببًا في نشر الإسلام في أرجاء الأرض بالفتوحات الإسلامية، وفي هذا الكتاب «الخلفاء الراشدون للأطفال والناشئة» ذكرت فيه بفضل الله حياة الخلفاء الأربعة أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأهم الأحداث في خلافتهم وفتوحاتهم الإسلامية، وكذلك ذكرت نبذةً عن خلافة الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكذلك نبذةً عن خلافة عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ، كل ذلك بأسلوب سهل ومبسط، حتى يتمكن أطفالنا من التعرف على سيرة الخلفاء الراشدين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ورحمهم الله تَعَالَىٰ، هذا والله أعلم، وصل اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

كتبه
مُسعد حُسين مُحمّد
عضو باتحاد الكُتّاب المسلمين
ومؤلف برابطة العالم الإسلامي برقم (ج/ ٧٤٥)
محافظة البحيرة - حدائق كفر الدوار
٠١١٢٥٨٠٧٨٨٧ - ٠١٢٢٣٨٤٠٠١٢



معنى الخلافة

أرسل الله رسوله ﷺ للناس كافة فمكث في الناس ثلاثة وعشرين سنة، قضاها بين مكة والمدينة، وكان يبلغ وحي ربه ويعلم الناس أمور دينهم. وبجانب هذه الوظيفة كان إمامًا للمسلمين يحرس لهم الشريعة المباركة، وهذه الوظيفة ظلت موجودة بعد وفاة النبي ﷺ، وسميت باسم الخليفة وسميت الوظيفة باسم الخلافة.

لأن النبي ﷺ هو الذي أشار إلى ذلك بقوله: «**فعليكم بسنتي وسُنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي**».

وظيفة الخليفة:

١- هو إمام المسلمين في صلاتهم.

٢- وهو قائد المسلمين في جهادهم، وهو الذي يُعين قواد الجيوش.

٣- وهو الذي يعين الولاة والأمراء على البلاد.

٤- وهو الذي يُعين القضاة الذين يحكمون ويفصلون بين الناس.





مراحل الخلافة الإسلامية:

مرت الخلافة الإسلامية بعدّةِ مراحل: فكانت الخلافة الراشدة، وخلفاؤها أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

ثم كانت من بعدهم الخلافة الأموية - أو خلافة بني أمية - ثم كانت الخلافة العباسية - أو خلافة بني العباس ثم كانت بعد ذلك الخلافة العثمانية.

وتاريخ الخلفاء الراشدين ومدّة حكمهم كانت كالتالي:

❁ أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تولى الخلافة بعد وفاة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى شهر المحرم (١٤هـ).

❁ وعمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كانت خلافته في عام (١٤هـ) حتى آخر عام (٢٣هـ).

❁ وعثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كانت خلافته من عام (٢٤هـ) حتى عام (٣٥هـ).



❁ وعـلي بـن أبي طالـب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كانـت خلافتـه مـن عـام (٣٥هـ) حتى عام (٤٠هـ).

وهذا مـا ذكره أهل التاريـخ في الخلافة الراشـدة أو الخلفاء الراشدين، أو دولة الخلافة الراشدة.





خلافة أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

لما توفي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دخل علي بن أبي طالب، والعباسُ عمُّ النبيّ، وأبو بكر الصديق دار الرسول، يُغسلون النبيَّ قبل دفنه، وهم من المهاجرين الذين هاجروا مع النبيِّ إلى المدينة، واجتمع رجالٌ من الأنصار في مكان له سقفٌ من الخشب يُسمى سقيفة بني ساعدة وأخذوا يتحدَّثون في انتخاب حاكمٍ للمسلمين.

وجاء رجلٌ إلى مسجد الرسول، فلما وجد عمر بن الخطاب واقفًا هناك قال له:

اجتمع الأنصارُ في سقيفة بني ساعدة لـمُبايعة سعد بن عُبادة خليفة لرسول الله.

فأرسل عمر إلى أبي بكر الصديق، وقال له: اخرج إلينا.

فلما خرج أبو بكر، قال له عمر: أما علمت أن الأنصار قد اجتمعت في سقيفة بني ساعدة، يُريدون أن يولوا هذا الأمر سعد ابن عبادة؟





فذهب أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح، إلى سقيفة بني ساعدة، وبقي عليٌّ والعباس وبعض بني هاشم، وهم أقارب النبيّ، يشتغلون بإعداد جهاز النَّبيّ.

اجتمع الأنصارُ في سقيفة بني ساعدة وقالوا:

نُولي هذا الأمر بعد محمد عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ سعد بن عُبادة.

وجاءوا بسعد بن عُبادة، وكان مريضًا؛ فلما اجتمع بهم، قال لابنه:

إني لا أقدرُ لشكواي «أي لمرضي» أن أسمع القومَ كلامي، ولكن تلق مني قولي فأسمعهموه.

وراح يتكلم ويحفظ ابنه قوله، فيرفعُ صوته ليسمع أصحابه:

يا معشر الأنصار، لكم سابقةٌ في الدين، وفضيلةٌ في الإسلام، ليست لقبيلة من العرب، إن محمدًا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لبث بضع عشرة سنة في قومه، يدعُوهم إلى عبادة الرحمن، فما آمن به من قومه إلا رجالٌ قليل، وما كانوا يقدرون على أن يمنعوا «يَحمُوا» رسول الله، ولا أن يعزوا دينه، ولا أن يدفعوا عن أنفسهم ضيما «ظلمًا»، حتى



إذا أراد بكم الفضيلة، ساق إليكم الكرامة وخصَّكم بالنعمة، فرزقكم الله الإيمان به وبرسوله، والمنع له ولأصحابه، والجهاد لأعدائه، حتى استقامت العرب لأمر الله طوعًا وكرهًا؛ استبدوا بهذا الأمر.

وجاء أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح إلى السقيفة، فلما رآهم الأنصار، قام رجلٌ منهم وقال:

نحن أنصارُ الله وكتيبةُ الإسلام، وأنتم يا معشر المهاجرين رهط نبينا «قومه وقبيلتُه»، وقد ظهر أنكم تُريدون أن تتولوا الأمر دوننا. إنَّنا أحقُّ بهذا الأمر منكم.

فقال أبو بكر الصديق: خص الله المهاجرين الأولين من قوم الرسول بتصديقه والإيمان به، والصبر معه على شدة أذى قومهم، فهم أول من عبد الله في الأرض، وآمن بالله وبالرسول، وهم أولياؤُه وعشيرته، وأحقُّ الناس بهذا الأمر من بعده، ولا يُنازعُهم ذلك إلا ظالم، وأنتم يا معشر الأنصار من لا يُنكر فضلهم في الدين، ولا سابقتهم العظيمة في الإسلام، رضيكم





الله أنصـارًا لدينـه ورسـوله، وجعـل إليكم هجرتـه، فليس بعد المهاجريـن الأولين عندنا أحـد بمنزلتكم، فنحنُ الأمـراءُ وأنتم الوزراء، لا تقضي دونكم الأمور.

فقال الأنصار: منا أميرٌ ومنكم أمير.

فقال عمرُ بـنُ الخطاب: والله لا ترضى العرب أن يؤمروكم «أي يجعلـوا الحاكـم منكـم» ونبيُّها مـن غيركم، ولكـن العرب لا تمنع أن تولي أمرها من كانت النبوة فيهم، وولي أمورهم منهم، ولنا بذلك على من أبى من العرب الحجة الظاهرة.

فأبى بعض الأنصار، فقال لهم أبو عبيدة بن الجراح:

يا معشر الأنصار، إنكم أول من نصر وآزر، فلا تكونوا أول من بدل وغير.

فقـال أحـدُ عقـلاء الأنصـار: يـا معـشر الأنصار، إنـا والله لئـن كنـا أولى فضيلة في جهـاد المشركين، وسـابقة في هذا الدين، مـا أردنـا به إلا رضا ربنا، وطاعة نبينا، فلا ينبغي لنا أن نسـتطيل على الناس بذلك «أن نتحكم في الناس»، ألا إن محمدًا ﷺ





من قريش، وقومه أحق به وأولى، وايم الله لا يراني الله أنازعهم هذا الأمر أبدًا، فاتقوا الله ولا تخالفوهم، ولا تنازعوهم.

فقال أبو بكر: هذا عمر، وهذا أبو عبيدة، فأيهما شئتم فبايعوا.

فقال عمر وأبو عبيدة: لا والله لا نتولى هذا الأمر عليك، فإنك أفضل المهاجرين، وثاني اثنين إذ هما في الغار، وخليفة رسول الله على الصلاة، والصلاة أفضل دين المسلمين، فمن ذا ينبغي له أن يتقدمك، أو يتولى هذا الأمر عليك، أبسط يدك نبايعك.

وبايع عمر وأبو عبيدة أبا بكر الصديق، وقام الأنصار وبايعوا أبا بكر.

ذهب أبو بكر وعمر إلى المسجد، فالتفت عمر إلى أبي بكر وقال له: اصعد المنبر.

فلم يزل به حتى صعد المنبر وجلس، وقام عمر وقال:

إن الله قد أبقى فيكم كتابهُ الذي هدى به رسول الله، فإن اعتصمتُم به هداكُم الله لما كان هداهُ الله له، وإن الله قد جمع أمركم



على خيركم، صاحب رسول الله ﷺ، وثاني اثنين إذ هما في الغار، فقوموا فبايعوه.

فتقدم الناس يبايعون أبا بكر البيعة العامة، بعد بيعة السقيفة. ولما انتهى الناس من ذلك، قام أبو بكر وقال:

أيها الناس، إني قد وليت عليكم ولستُ بخيركم، فإن أحسنتُ فأعينوني، وإن أسأت فقوموني. الصدقُ أمانة، والكذب خيانة. والضعيف منكم قويٌّ عندي حتى أرجع عليه حقه إن شاء الله، والقويُّ فيكم ضعيف حتى آخذ منه الحق إن شاء الله، لا يدع قومٌ الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل، ولا يشيع في قوم قط الفاحشة إلا عمهم الله بالبلاء، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإن عصيت الله ورسوله، فلا طاعة لي عليكم. قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله.







أبو بكر يُقاتل ما نعي الزكاة

كان النبي ﷺ، يرى توطيد سلطان المسلمين على حدود الشام، فقد بلغه تفكير الروم الذين كانوا يحكمون الشام، في مهاجمة المسلمين، وقد أرسل لقتالهم جيشًا بقيادة زيد بن حارثة، وقتل قواد هذا الجيش، فخرج النبي ﷺ لقتال الروم، وسار حتى بلغ تبوك، ولكن الروم لم يقابلوه، بل انسحبوا إلى داخل بلادهم، فلما أتم النبي حجة الوداع، أمر بتجهيز جيش للخروج إلى الشام، وأمر على الجيش أسامة بن زيد.

كان أسامة في العشرين من عمره، وكان في جيشه أبو بكر وعمر وكبار الصحابة؛ وقبل أن يسير جيشُ أُسامة، مات رسول الله، وأصبح أبو بكر خليفة رسول الله، فدخل الناس عليه، وقالوا له:

إن الأمور قد تبدلت بعد موت الرسول، ولا يعلم أحدٌ ما يستجدُّ من الأُمور إذا بلغ القبائل خبرُ موت مُحمد.





فقال أبو بكر: والذي نفس أبي بكر بيده، لو ظننتُ أن السباع تخطفني، لأنفذت بعث أسامة، كما أمر به رسول الله، ولو لم يبق في القرى غيري لأنفذتها.

وقال أسامة لعمر: ارجع إلى خليفة رسول الله، فاستأذنه لي أن أرجع بالناس، فإن معي وجوه الناس وحدهم، ولا آمنُ على خليفة رسول الله وعلى المسلمين أن يتخطفهم المشركون.

وسار عمر ليدخل على أبي بكر، فجاءه الأنصار وقالوا له:

❁ إن أبى إلا أن نمضي، فأبلغه عنا، واطلب إليه: أن يُولي أمرنا رجُلًا أقدم سنًّا من أسامة.

دخل عمر على أبي بكر، وقال له: أسامة يستأذن أن يرجع بالناس.

فقال أبو بكر في عزم: لو خطفتني الكلابُ والذئاب، لا أرد قضاءً قضي به رسول الله.

فقال عمر: الأنصارُ يطلبُون أن تولي رجلًا أقدم سنًّا من أسامة.





فثار أبو بكر وغضب، ووثب على عمر الذي كان الناس يخشونه وجذبه من لحيته جذبةً شديدة، وصاح فيه: ثكلتك أمك وعدمتك يا بن الخطاب، استعمله رسول الله، وتأمُرني أن أنزعه؟

وخرج عمر إلى الناس، فأسرعوا إليه يسألونه:

❀ ماذا فعلت؟

فصاح فيهم: امضوا ثكلتكُم أمهاتُكم، ما أشد ما لقيتُ في سبيلكم من خليفة رسول الله.





خروج الجيش بقيادة أسامة بن زيد

نادى المنادي، فجاء المسلمون ليخرجوا في جيش أسامة، وجاء عمر بن الخطاب، فقد كان جُنديًّا في هذا الجيش، وأقبل أسامة راكبًا جواده، وجاء أبو بكر يسيرُ على رجليه، فلما رآهُ أسامة، همَّ بأن ينزل عن جواده، فأشار له أبو بكر أن يبقى فقال أسامة:

- يا خليفة رسول الله، والله لتركبن أو لأنزلن.

- والله لا تنزلن ووالله لا أركب، وما عليَّ أن أُغبر قدمي في سبيل الله ساعة، فإن للغازي بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة تُكتبُ له، وسبعمائة درجة تُرفع له، وأن تُرفع عنه سبعمائة خطيئة.

لقن أبو بكر الجنود الذين تحت إمرة أسامة درسًا في احترام القائد، وأراد أن يلقنهم درسًا آخر في توقيره، فقال لأسامة:

- إن رأيت أن تُعينني بعمر فافعل.



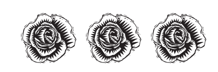


لم يأمر أبو بكر ببقاء عمر معه في المدينة، وهو الحاكمُ الناهي، بل استأذن قائد الجيش في بقائه معه ليُعينه على أمور المسلمين، فرسم لكبار الصحابة طريقة معاملة قائدهم، وإن كان في العشرين من عمره، علَّمهم أن يحترموه، وأن لا يستخف به أحد.

أشار أسامة بيده لعمر بن الخطاب، فخرج من بين الصفوف. وأشار أبو بكر لجيش أسامة بيده، وقال:

- اندفعوا باسم الله.

وخرج جيش أسامة قاصدًا الشام.









ظهور قوة المسلمين

فـرض الإسـلام على المسـلمين الـزكاة، وكان النبيُّ يرسـل رجـالًا يجمعونها من القبائـل، فكانت القبائل تدفـعُ لهم الزكاة، فتحمل إلى المدينة، ويقوم النبي ﷺ بتوزيعها على الفقراء والمسـاكين، ويعتق بها العبيد، وينفق منهـا على الدولة. فلما مات رسول الله جاءت وفود القبائل إلى المدينة، وعرضوا على أبي بكر أن يصلـوا، وأن لا يدفعوا الـزكاة، فرفض أبو بكر هذا العرض، لأن الـزكاة ركنٌ مـن أركان الدين، وعزم عـلى أن يقاتلهم حتى يؤدوا الزكاة، فقال له عمر:

كيف تقاتل الناس، وقد قال رسـول الله ﷺ: «**أُمرتُ أن أقاتـل النـاس حتـى يقولوا: لا إله إلا الله، فمن قالها، فقد عصم مني ماله ونفسه، إلا بحقه وحسابه على الله**»؟

طلـب عمر منـه أن يتركهـم وما هـم عليه من منـع الزكاة، ويحببهم في الإسلام، ثمَّ هم بعد ذلك يزكون، فقال له أبو بكر:





أجبارٌ في الجاهلية، خوارٌ «ضعيف» في الإسلام؟ إنه قد انقطع الوحي وتم الدين، أو ينقص وأنا حيّ؟ والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عناقًا «عنزا» كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ، لقاتلتُهم على منعها.

وعادت الوفود إلى قبائلها، وقد بان الغدر في الوجوه، فجمع أبو بكر كبار الصحابة، وقال لهم:

إن الأرض كافرة، وقد رأى وفدهم قلة، «بعد خروج جيش أسامة»، وإنكم لا تدرون أليلًا تؤتون «أي تغزون» أو نهارًا، وقد كان القوم يأملون أن نقبل منهم ونوادعهم، وقد أبينا عليهم، فاستعدُّوا وأعدُّوا.

ولبس المسلمون عدة القتال واستعدُّوا للدفاع عن المدينة، وخرج علي بن أبي طالب، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، ونفرٌ من المسلمين لحماية مشارف المدينة، وبقي سائرُ





المسلمين مدججين بالسلاح، على استعداد للقتال، إذا ما فكر أحدٌ في مداهمتهم.

وتحركت القبائل المجاورة قاصدة المدينة، وبلغ الخبرُ أبا بكر، فخرج بالمسلمين، ليدافع عن دين الله، رأى أن يهجم على العدو في الليل، قبل أن يهجم عليه العدو بالنهار، فسار في الليل، حتى بلغ معسكر الأعداء، وانقض المسلمون على أعدائهم، وراحوا يعملون السيوف فيهم، حتى هربوا، فسار المسلمون وراءهم.

كان الأعداء قد تركوا مددًا من الرجال خلفهم، فانضم المَدَدُ إلى الهاربين، ووقفوا في وجه المسلمين ودار القتال شديدًا رهيبًا في الليل. وأحس المسلمون رواحلهم تتقهقر مرعوبة، وظلت تتقهقر، فقد جاء الأعداء بأوعية من جلود نفخوها وربطوها بالحبال، وضربوها بأرجلهم في وجوه إبل المسلمين، فخافت الإبل، واستمرت في تقهقرها حتى دخلت المدينة.

ونام الأعداءُ تلك الليلة؛ حسبوا أنهم انتصروا على المسلمين، ولكن المسلمين لم يذوقوا للنوم طعمًا، وراح أبو بكر يستعد





لمعاودة الهجوم قبل أن تطلع الشمس. وسار أبو بكر مرة ثانيةً إلى الأعداد قبل الفجر، فرآهم نائمين، فهجم المسلمون عليهم، وراحوا يقتلونهم، فقاموا من نومهم خائفين، وهربوا مرعوبين مهزومين.

وانتصر أبو بكر على الذين جاءوا يُرغمونه على أن يقبل مبدأ عدم دفع الزكاة، فخافت القبائل منه، وجاء المسلمون من مختلف القبائل إلى المدينة يحملون الزكاة، وعاد جيش أسامة إلى المدينة، فقوي المسلمون به، وكانت بعض القبائل قد تركت الإسلام بعد موت النبيّ، وكان بعض الكذابين قد ادعوا النبوة، فرأى أبو بكر محاربة الذين ارتدُّوا، فكون أحد عشر جيشًا لقتالهم، وخرجت الجيوش لقتال مدَّعي النبوة وأتباعهم، لرفع الراية الإسلامية على بلاد العرب جميعها، كما كانت مرفوعةً موفورة الكرامة، قبل موت الرسول.







انتصار جيش المسلمين على مسيلمة الكذاب

ادعى مسـيلمة النبوة، فلم يصدقه من قومه خلقٌ كثير، فقد كان ضئيـل الجسـم، أصفر اللون، لا هيبة لـه، ولا يبعثُ مظهره على الاحـترام، وقد ادَّعى النبوة في أيام النبي ﷺ، فبعث النبي إلى أهل اليمامة - قوم مسـيلمة - من يعلمهم دينهم، وكان هذا الرجل الذي أرسله محمدٌ هو «نهار الرجال».

رأى نهـار الرجال أن يخون الأمانة، وأن ينضم إلى مسـيلمة، وأن يتفـق معـه، فهو بهذا يسـتطيعُ أن يكسـب الدُّنيا، وإن خسر الآخرة، فانضم إلى مسيلمة، وقال للناس:

إن محمدًا يقول: إن مسيلمة قد اشترك في الرسالة.

وصـدق أهل اليمامة «نهار الرجـال» وكان سرورهم عظيمًا، فمنهـم نبيٌّ ومن قريـش نبي، ولم يفطنُوا إلى أن مسـيلمة كذاب، وأن «نهار الرجال» خائنٌ باع آخرته بدُنياه.





ومات النبيُّ ﷺ، فأرسل أبو بكر إلى مسيلمة جيشًا، بقيادة عكرمة بن أبي جهل، ولكن عكرمة هُزم، فأرسل أبو بكر جيشًا آخر بقيادة خالد بن الوليد، قائد الإسلام الأول، وسيف الله المسلول.

سار جيشُ خالد، حتى وقف جيشُ خالد وجيشُ مسيلمة وجهًا لوجه، وقد امتلأت الصدور حماسة، فالمسلمون يُدافعون عن دينهم، وأهل اليمامة عن نبيهم الكذاب، ودارت رحى المعركة رهيبة، فلم يثبت المسلمون وتقهقروا، وساء بعض ذوي الهمم العالية أن ينهزم المسلمون، فعزموا أن يثبتوا في الميدان، حتى يحكم الله بينهم وبين الفجرة المُرتدين، وثارت الحمية فيهم، فانطلق زيد بن الخطاب إلى نهار الرجال، وعاجله بضربة فقتله.

وشدَّد المسلمون النكير، وراح أتباعُ مسيلمة يسقطون حوله قتلى، فرأى خالدٌ أن يسير إلى مُسيلمة ليقتله فتنتهي المعركة، فهجم عليه وهو يصيح: «وامُحمَّداه»! وما بلغ صوته آذان

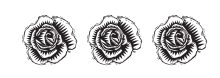




المسلمين حتى فارت الدماء في عروقهم، وأخذوا يُطيحون رُءوس المخدوعين في نبيهم، ورأى مسيلمة ضغط المسلمين عليه، وطلب خالد له، فدب الذُّعرُ في نفسه وفر، وفرَّ من كان حوله.

وصاح صائح: «إلى الحديقة ... إلى الحديقة». فدخل القوم حديقةً كانت لمسيلمة، وكانت واسعة الأرجاء، منيعة الجُدران، كأنها الحصن، وأُغلق باب الحديقة، فراح المسلمون يتسلقون الجُدران، ويقاتلون الأعداءَ، حتى فتحوا باب الحديقة، فتدفق المسلمون منه كالبحر، وقتل مسيلمة، وقتل معه خلقٌ كثير.

وانتصر خالد بن الوليد على مسيلمة الكذاب، وانتصرت جيوش المسلمين، وعادت إلى المدينة، فاستقبلها أبو بكر مسرورًا، فقد أعاد للإسلام هيبته، وأقام دعائمه، وأرغم القبائل على أن تؤدي الزكاة، واستعد أبو بكر ليُرسل الجيوش لنشر دين الله، وإقامة أركانه. وتوطيد بُنيانه.









وفاة أبي بكر الصديق رضي الله عنه

كان المسلمون يقاتلون الـمُرتدين عن الإسلام، فلما انتصروا عليهم راحوا يُقاتلون الفُرس والروم، وقد قتل كثيرٌ من الذين يحفظون القرآن في هذه الحروب، وخاف عمر بن الخطاب أن يضيع القرآن بعد موت الذين يحفظونه، فدخل على أبي بكر وقال له:

إن القتل قد استحر «اشتدَّ وكثر» يوم اليمامة بالناس، وإني لأخشى أن يستمر قتل القراء في المواطن، فيذهب كثيرٌ من القرآن إلا أن يجمعوه، وإني لأرى أن يُجمع القرآن.

قال أبو بكر لعمر: كيف أفعل شيئًا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

فقال عمر: هو والله خير.

فلم يزل عمر يراجع أبا بكر، حتى شرح الله لذلك صدره، وأرسل أبو بكر إلى «زيد بن ثابت»، وكان يكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما جاء زيدٌ قال له أبو بكر:





إنك شابٌّ عاقل، ولا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله، فتتبع القرآن واجمعه.

وأحس زيد بن ثابت أن أبا بكر يطلب منه أمرًا خطيرًا، وشعر بأنه لو كان قد كلفه نقل جبلٍ من الجبال لكان أيسر مما أمره به، فراح زيدٌ يجمع القرآن من الرقاع والأكتاف «ألواح من عظم الكتف، كان العربُ ينظفونها ويكتبون عليها كتاباتهم» وصدور الرجال.

استمر زيد بن ثابت يعمل الليل والنهار، حتى تمكن من جمع القرآن في صحف، ودفع بالصحف إلى أبي بكر، فبقيت عنده.

كان الجوُّ باردًا، فدخل الناسُ دورهم يحتمون فيها من البرد، ودخل أبو بكر داره يغتسل، فخرج بعد أن اغتسل ينتفض، فدخل فراشه، فأحسَّ حرارته ترتفع، وأن رأسه يكادُ ينفجر، ومرض أبو بكر بالحمي، فلم يعد بقادر على أن يخرُج ليُصلي بالناس.

ودعا أبو بكر عبد الرحمن بن عوف، وكان من خيرة صحابة الرسول، وقال له:





أخبرني عن عمر؟

فقال عبد الرحمن: يا خليفة رسول الله، هو والله أفضل من رأيت فيه من رجل، ولكن فيه غلظة.

فقال أبو بكر: ذلكم لأنه يراني رقيقًا، ولو أنه أفضي الأمر إليه، لترك كثيرًا مما هو عليه. وقد رمقته فرأيتني إذا غضبت على الرجل في الشيء، أراني الرضا عنه، وإذا لنت له، أراني الشدة عليه. لا تذكر يا أبا محمد مما قلتُ لك شيئًا.

قال عبد الرحمن بن عوف: نعم.

وفهم عبد الرحمن أن أبا بكر يُريدُ أن يستخلف عمر على المسلمين بعده.

ودعا أبو بكر عثمان بن عفان وقال له: يا أبا عبد الله، أخبرني عن عمر.

قال عثمان: أنت أخبر به «أي أعلم به».

ﷺ على ذاك.

قال عثمان: اللهم علمي به أن سريرته خيرٌ من علانيته، وأن ليس فينا مثلُه.







قال أبو بكر: رحمك الله يا أبا عبد الله. اكتب:

بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ماعهد به أبو بكر بن أبي قُحافة إلى المسلمين، أما بعد...

ثم أُغمِيَ على أبي بكر، فكتب عثمان «... فإني قد استخلفتُ عليكم عمر بن الخطاب، ولم آلكم خيرًا منه...».

وأفاق أبو بكر، فقال لعثمان: اقرأ عليَّ.

فقرأ عثمانُ ما كتب، فقال أبو بكر: الله أكبر! أراك خفت أن يختلف الناس إن افتلتت نفسي في غشيتي.

- نعم.

- جزاك الله خيرًا عن الإسلام وأهله.

واستخلف أبو بكر على الناس عمر بن الخطاب، فسمع الناس له وأطاعوا. ودخل طلحة بن عبيد الله عليه، وكان من كبار الصحابة.





وقال له: استخلفت على الناس عمر، وقد رأيت ما يلقي الناس منه وأنت معه، فكيف به إذا خلا بهم، وأنت لاقٍ ربك، فسائلك عن رعيتك؟

فقال أبو بكر، وكان مضطجعًا: أجلسوني.

فأجلسوه، فالتفت إلى طلحة وقال: أبالله تُخوفني؟ إذا لقيتُ الله ربي فسألني قلت: استخلفت على أهلك خير أهلك.

ودخل عبد الرحمن بن عوف على الصديق، وفطن الصديق إلى تغير وجه عبد الرحمن بعد أن استخلف أبو بكر على الناس عمر بن الخطاب، فقال له أبو بكر:

إني وليت أمركم خيركم في نفسي، فكلكم ورم أنفُه من ذلك، يريد أن يكون له الأمر دونه، ورأيتم الدنيا قد أقبلت، ولما تُقبل: وهي مقبلةٌ حتى تتخدوا ستور الحرير، ونضائد الديباج، وتألموا الاضطجاع على الصُّوف، كما يألم أحدكم أن ينام على حسك السعدان «السعدان: نبت ذو شوك حاد».





جلست عائشــة ابنةُ أبي بكر، وزوجةُ النبي، تُـمرض أباها، فنظر أبو بكر إليها طويلًا وقال:

يا بُنية، إن أحب الناس غنىً إلي بعدي أنت، وإن أعز الناس فقرًا عليَّ بعدي أنـت، وإني كنت نحلتك «أعطيتك» أرضي التي تعلمين، وأنا أحبُّ أن ترديها عليّ، فيكون ذلك قسمةً بين ولدي على كتاب الله، فإنما هو مالُ الوارث، وهما أخواك وأختاك.

فظهر الدهشُ في وجه عائشــة، فما لها إلا أختٌ واحدة، هي «أسماء»، وقد ذهبت مع زوجها إلى اليرموك لقتال الرُّوم، فما بالُ أبيها يقول: أختاك؟! فقالت في عجب: أُختاي؟

فقـال أبو بكر في هـدوء: ذو بطـن ابنة خارجة، فـإني أظنُّها جارية.

كانت «حبيبةُ بنتُ خارجة» زوجتُه حاملًا، فلم يشأ أن يُهمل ولده الذي لا يزال في عالم الغيب، بل راح يُفكر فيه، ويعمل على إحقاق حقه قبل أن يراه.





واشـتد المـرض عليـه، فنظـر إلى زوجته أسـماء بنت عميس وقال: غسليني.

فقالت أسماءُ في ضيق فما كانت تُـحب أن تُغسل زوجها بعد موته:

لا أطيق ذلك.

فقال لها أبو بكر: يُعينك عبد الرحمن بن أبي بكر، يصبُّ الماء. والتفت إلى عائشة وقال:

في كم كُفن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

فقالت عائشة: في ثلاثة أثواب.

فقال أبو بكر: اغسلوا ثوبي هذين - وكانا ممزقين - وابتاعوا لي ثوبًا آخر.

فقالت له عائشة: يا أبت إنا موسرون.

فقـال أبـو بكر في هـدوء: أي بنيـة، الحيُّ أحـقُّ بالجديد من الميت، إنما هما للمهلة «للقيح» والصديد.





وبـدأت الشـمس تغرب، واشـتد المـرضُ بأبي بكـر، وراح يُعالج سكرات الموت، وفتح عينيه، وقال بصوت خافت:

- يا عائشة، ادفنوني بجوار رسول الله.

ثم أسبل جفنيه، وأخذت روحُه تُـحشرجُ في صدره، فقالت عائشة:

لعمرُك ما يُغني الـثَّراءُ عن الفتَى

إذا حشرجتْ يومًا وضاقَ بها الصَّدرُ

فبـان الغضب في وجه أبي بكر، سـاءَه أن تتمثـل أمُّ المؤمنين بذلك الشعر، ولا تتمثل بالقرآن، فقال:

ليس كذلك يـا أُمَّ المؤمنين، ولكن: ﴿وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ﴾ [ق: ١٩].

واشتدَّ عليه الموتُ فقال هامسًا:

وكـــلُّ ذي إبِـــل مـــوروثُ

وكـــلُّ ذي ســلــب مــســلــوبُ

وكـــلُّ ذي غَــيْــبــةٍ يــئــوبُ

وغــائــبُ الـــمــوتِ لا يــئُــوبُ





وراح يجودُ بأنفاسه الأخيرة، وكان آخرُ ما نطق به: «رب توفني مُسلمًا، وألحقني بالصالحين».

وفاضت روح أبي بكر، خليفة الرسول، فحزن الناسُ لوفاته حُزنًا شديدًا، وراحوا يُجهزونه ليلًا، ثم حفر له لحدٌ بجوار لحد النبي في بيت عائشة، وحملوه، ودخل قبره عمر وعثمان وطلحة وعبد الرحمن بن أبي بكر.

دُفن أبو بكر، وسمع عمر نُواحًا، فانقبض عمر، وسار إلى باب عائشة، ونهى النساء النائحات عن البكاء، فأبين أن ينتهين، فتحرك غضب عمر، فالتفت إلى رجل معه، وقال له:

- ادخل فأخرج إليّ ابنة أبي قُحافة، أُخت أبي بكر.

وبلغ ذلك سمع عائشة، فقالت للرَّجل من وراء الباب:

- إني أُحرِّجُ عليك بيتي.

فأحجم الرجل، فقال له عمر: ادخل، فقد أذنتُ لك.

فدخل هشام، فأخرج أُمَّ فروة أخت أبي بكر إلى عمر، فعلاها بالدرة، فضربها ضربات، فتفرَّق النائحات حين سمعن ذلك.





وخرجت عائشةُ ووقفت على قبر أبيها فبكت، ثم قالت: نضر الله يا أبت وجهك، وشكر لك صالح سعيك، فقد كنت للدُّنيا مُذِلًّا بإدبارك عنها، وللآخرة مُعزًّا بإقبالك عليها، ولئن كان أعظم المصائب بعد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رُزْؤُك «مصيبتك»، وأكبر الأحداث بعده فقدُك، إن كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ ليعدُنا بالصبر عنك، حسن العوض منك. وأنا مُتنجزةٌ من الله موعده فيك، بالصبر عنك، ومُستعينةٌ كثرة الاستغفار لك، فسلم الله عليك، توديع غير قاليةٍ لحياتك، ولا زاريةٍ على القضاء فيك.







خلافة عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

لما مات أبو بكر في الليل، ودُفِن في الليل. ولما أصبح الصباح، خرج عمرُ إلى الناس بالمسجد، فأقبلوا عليه يُبايعونه، وتوافدوا على المسجد، حتى إذا كان الظُّهر، ازدحم الناسُ للصلاة، فصعد عمر المنبر، وقال:

أيها الناس، ما أنا إلا رجلٌ منكم، ولولا أني كرهتُ أن أرد أمر خليفة رسول الله، ما تقلدتُ أمركم «أي ما قبلت أن أكون حاكمًا لكم».

ورفع بصره إلى السماء، وقال:

اللهم إني غليظٌ فليني، اللهم إني ضعيف فقوني، اللهم إني بخيلٌ فسخني: «أي اجعلني جوادًا كريمًا». إن الله ابتلاكُم بي، وابتلاني بكم، وأبقاني فيكم بعد صاحبي «الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والصديق»، ولئن أحسنوا لأحسنن، ولئن أساءوا لأُنكلنَّ بهم.





وصلى عمر بالناس، ثم وقف يدعوهم أن يخرجوا مع المُثنى لقتال الفرس، فلم يُلب أحدٌ دعوته؛ كان المسلمون يخشون «فارس»؛ لشدة سلطانهم وشوكتهم، وقهرهم الممالك.

ومرَّ اليومُ ولم يتقدم أحدٌ للخروج لقتال الفرس، فحزن عمر، وبات ليلته يُفكر، فاهتدى إلى أن الناس يخشون شدته وغلظته، فقد كان شديدًا أيام النبي، وفي أيام خلافة أبي بكر، فعقد العزم على أن يشرح للناس سياسته، ليُزيل من صدورهم هذا الخوف وهذه الرهبة.

وأصبح الصباح، وخرج عمر إلى المسجد ولما ازدحم المسجد بالناس، صعد المنبر، وقال:

❁ بلغني أن الناس هابُوا شدتي، وخافوا غلظتي، وقالوا: قد كان عمر يشتدُّ علينا ورسول الله بين أظهرنا، ثم اشتدَّ علينا وأبو بكر والينا دونه، فكيف وقد صارت الأمورُ إليه! ومن قال ذلك فقد صدق: إنني كنتُ مع رسول الله؛ فكنتُ عبده وخادمه، وكان من لا يبلغ أحدٌ صفته من اللين والرحمة، وكان - كما قال



الله - بالمؤمنين رءوفًا رحيمًا، فكنتُ بين يديه سيفًا مسلولًا، حتى يُغمدني أو يدعني فأمضي، فلم أزل مع رسول الله حتى توفاهُ الله، وهو عني راضٍ، والحمد لله على ذلك كثيرًا، وأنا به أسعد.

ثم ولي أمر المسلمين أبو بكر، فكان من لا تُنكرون دَعَتَهُ وكرمه ولينه، فكنتُ خادمه وعونه، أخلطُ شدتي بلينه، فأكون سيفًا مسلولًا، حتى يُغمدني أو يدعني فأمضى. فلم أزل معه كذلك حتى قبضه الله عَزَّوَجَلَّ وهو عني راضٍ، فالحمد لله على ذلك كثيرًا، وأنا به أسعد.

ثم إني قد وليت أموركم أيها الناس، فاعلموا أن تلك الشدة قد أضعفت، ولكنها إنما تكون على أهل الظلم والتعدي على المسلمين، فأما أهل السلامة والدين والقصد، فأنا ألين لهم من بعضهم لبعض، ولستُ أدعُ أحدًا يظلمُ أحدًا، أو يتعدَّى عليه، حتى أضع خدَّه على الأرض، وأضع قدمي على الخد الآخر، حتى يُذعن بالحق، وإني بعد شدَّتي تلك، أضع خدِّي على الأرض لأهل العفاف وأهل الكفاف.





لكـم عليَّ أيها الناس خصالٌ أذكُرها لكم، فخذوني بها: لكم عليّ ألا أجتبي «آخُذ» شـيئًا من خراجكم، ولا ما أفاء الله عليكم إلا مـن وجهه، ولكم عليَّ إذا وقع في يدي ألا يخرُج مني إلا وهو في حقه، ولكم عليَّ أن أزيد عطاياكم وأرزاقكم إن شاء الله تَعَالَى، وأسُدَّ ثغوركم، ولكم عليَّ ألا ألقيكم في المهالك، ولا أجمركم في ثغوركم، ولا أجمعكم في مواطن القتال، ولا أحبسكم عن العودة إلى أهلكم، وإذا غبتُم في البُعوث فأنا أبو العيال.

فاتقـوا الله، عبـاد الله وأعينوني عـلى أنفُسـكم، بكفها عني، وأعينـوني عـلى نفسي، بالأمـر بالمعـروف، والنهـي عـن المنكر، وإحضـاري النصيحة فيما ولّاني الله مـن أمركم. أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم.

وطلب عمر من الناس أن يخرجوا مع الـمُثنى لحرب الفرس، ولكن لم يخف أحدٌ لتلبية هذا الطلب، فقام الـمُثنى، وقال:

❁ أيهـا النـاس، لا يُعظمـن عليكـم هـذا الوجـه، فإنـا قد تبحبحنـا «تمكنَّـا مـن» ريـف فـارس، وغلبناهم على خير شـقَّي



السـواد «الأرض الخصبة» وشاطرناهم، ونلنا منهم، واجترأ من قبلنا، ولها إن شاء الله ما بعدها.

وقام عمر يخطب الناس. قال:

إن الحجـاز ليـس لكـم بـدارٍ إلَّا عـلى النجعـة «أي طلـب المرعي»، ولا يقوي عليه أهله إلا بذلك. سـيروا في الأرض التي وعدكـم الله في الكتـاب أن يُورثكمُوها، فإنه قـال: «ليُظهره على الدين كله». والله مُظهرٌ دينه، ومعزٌّ ناصره، ومولٍ أهله مواريث الأمم، أين عبادُ الله الصالحون؟

وتلفـت النـاس، وتقـدم أبو عبيد بـن مسـعود الثقفي، فلما رأى سـعد بـن عبيـد ذلك، تقـدم هو الآخـر، وتقدم سـليطُ بنُ قيس، فسرت موجةُ حماسةٍ بين الحاضرين، فراحوا ينضمون إلى المسلمين الخارجين لملاقاة فارس.

واجتمع كبارُ المهاجرين والأنصار بعُمر، وقالوا له:

أمر عليهم رجلًا من المهاجرين أو الأنصار.

فرفض عمر ذلك، وقال: إن من سبق إلى الدفع، وأجاب إلى الدُّعاء، أولى بالرياسة.







وأمـر أبا عُبيـد، أول من لبَّـى النداء على الجيـش، وقال له: اسمع من أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأشركهم في الأمر.



جيش المسلمين يسير إلى العراق

جلس عمر في المسجد، ودخل أبو عُبيد عليه يودِّعه قبل أن يسير إلى العراق، فقال له:

السلام عليكم يا خليفة خليفة رسول الله.

وراح الناس يقولون له كلما حدَّثوه: يا خليفة خليفة رسول الله.

وأقبل رجلٌ، وقال له: سلام الله عليكم، يا أمير المؤمنين.

فلما سمع الناسُ ذلك سُرُّوا؛ كان لقبُ «أمير المؤمنين» خفيفًا على السمع، فراحوا يقولون لعمر كلما حدَّثوه: يا أمير المؤمنين! وبذلك كان عمر أول حاكمٍ مسلم لُقب بأمير المؤمنين.

سار أبو عُبيد بالجيوش الإسلامية، وراح ينتقل من نصر إلى نصر، فأقلق انتصار العرب الشعب الفارسي، فتجمهر الناس أمام القصر الملكي، وجعلوا يطلبون طرد المسلمين من العراق، وأخرجوا «الدَّرَفْس كابيان» وهي رايةُ كسرى، وهي من جلود النُّمور طولها اثنا عشر ذراعًا، وعرضُها ثمانيةُ أذرُع، وكانت على





خشبٍ طوالٍ مُوصل، وما كانت فارس تظهرها إلا في الأمر الشديد، وسببُ اعتزازهم بهذه الراية، أن أحد ملوك الفرس جار على رعيته، وعذبهم وظلمهم، فلم يُطق حدادٌ ذلك الظُّلم الشديد، فخرج من حانوته، وخلع الجلد الذي يربطه في وسطه، ورفعه على عصًا طويلة، وسار يهتف: من لا يُطيقُ الظُّلم فليتبعني. فتشجع بعضهم وانضمّوا إليه، فسار إلى القصر الملكي، والناس تنضمُّ إليه، حتى بلغ القصر، وخلع الملك، ونصب الناسُ الحداد ملكًا، وأسس الدولة الكسروية، فاتخذ ملوكها راية الحداد شعارًا لهم، ثم استبدلت بجلد النُّمور.

واجتمعت الجيوشُ الفارسية، وسارت حتى بلغت الفُرات، فعسكرت على ضفته، وجاءت جيوشُ المسلمين وعسكرت على الضفة الأخرى، ولم يكن يفصلُ بينهم إلا النهر.

أرسل قائدُ الفرس إلى أبي عُبيد بن مسعود: إما أن تعبُروا إلينا، وإما أن تدعونا نعبرُ إليكم، فاجتمع رؤساءُ الجيوش الإسلامية، وتداولوا في الأمر. كان من رأيهم أن يدعوا الأعداء تعبر إليهم، ولكن أبا عبيد رأى أن يعبر المسلمون، فأمر بإنشاء جسر، فراح

الناسُ يعملون في إنشائه. ولما تم عبر عليه المسلمون، والتفت أبو عُبيد إلى الجسر، وأمر بقطعه، فأسرع الناس إليه ليمنعوه، وقال قائل منهم:

أيها الرجل، إنه ليس لك علمٌ بما ترى، وأنت تخالفُنا، وسوف تُهلك من معك من المسلمين، بسوء سياستك، تأمرُ بجسرٍ قد عُقد أن يُقطع فلا يجد المسلمون ملجأ من هذه الصحاري والبراري، فلا تُريدُ إلا أن تهلكهم في هذه القطعة.

ولم يقبلْ أبو عبيد وقطع الجسر، كان يريدُ أن يحارب المسلمون وهم يعلمون أن ليس لهم إلا الموت أو النصر، فلم يعد هناك طريقٌ يفرّون منه.

وسوى المسلمون صفوفهم، واستعدّوا لملاقاة الأعداء، وأقبلت جيوشُ فارس أمامها فيل، وابتدأ القتال، فجرت الدماءُ أنهارًا، وقُتل من الفُرس ستةُ آلاف، وتقدم الفيل، يضربُ المسلمين بخُرطومه، فدبَّ الذُّعرُ بينهم وفرّوا من أمامه، لما رأى أبو عبيد ذلك نزل عن حصانه ورُمحه في يده، واندفع نحو الفيل،





وصوب إلى عينيه ضربةً هائلة، فراح الفيلُ يضرب بيده، فضرب أبا عُبيد ضربةً قاتلةً فسقط ميتًا.

رأى الجندُ ما حلَّ بقائدهم فذُعروا، وهربوا، فراح الفُرسُ يضربونهم بسيوفهم، وألقي المسلمون بأنفسهم في النهر، وصاح الـمُثنى:

- أعيدوا عقد الجسر.

وراح المسلمون يعقدونه، والـمُثنى ومن معه يتحمَّلون هجمات الأعداء، ولما تمَّ عقدهُ، صاح:

- يا أيها الناس، أنا دونكم «أي سأدافع عنكم» فاعبُروا على هينتكم «راحتكم»، ولا تدهشوا، فإنّا لن نزايل «لن نترك مكاننا» حتَّى نراكم من ذلك الجانب، ولا تُغرقوا أنفسكم.

واستمرت الحربُ طاحنةً بين الـمُثنى ومن معه، وبين جيوش الفرس، وأسرع الناسُ إلى عُبور الجسر، ولكنَّهم وجدوا رجلًا عند رأس الجسر شاهرًا سيفه، يمنع الناس من العبور، وهو يصيحُ فيهم:



- لـن نفـرَّ أبـدًا، لـن نفَّـر أبـدًا، موتوا عـلى ما مـات عليه أمراؤكم.

فتكاثـروا عليه وأخذوه، وأتوا بـه الـمُثنى، فضربه وقال له:

- ما حملك على هذا؟
- ليقاتلـوا وليموتـوا عـلى مـا مـات عليـه أمراؤهـم، أو يظفروا.

وراح النَّـاسُ يعبُرون الجسر، والـمُثنى وفرسـانُ المسـلمين يحمون المنسـحبين، وقاتلوا قتال الأبطال وهم يتقهقرون صوب الجسر، وأخذ من مع الـمُثنى في العبور، وراح الـمُثنى يعبُر الجسر وهو يقاتل الفُرس.ولما انتهى من العبور قطع الجسر خلفه.

وارتمى الـمُثنى على الشاطئ منهوكًا، وفرَّ المسلمون وهاموا على وجوههم، وذهب أغلبُهم مفزوعين إلى المدينة.

وحاول الفُـرسُ عُبور النهر، ومطاردة المسـلمين، والقضاء عليهـم، وبقـي الـمُثنـى ومن معه ينتظـرون قضـاء الله، بقلوب



عامرةٍ بالإيمان. كان الموتُ يقتربُ منهم وما يحول بينهم وبينه إلا ذلك النهر: انتظروا قضاء الله صابرين، فلن ينجيهم مما حاق بهم من خطرٍ إلا معجزةٌ من السماء.

وجاء عونُ الله سريعًا، فلما همت جيوش الفرس بالعبور، حتى سرى نبأ بينهم أن الناس في عاصمة ملكهم قد ثاروا، وانقسموا قسمين؛ فانشغلوا بذلك وانسحبوا، فلما رأى المُثنى انسحابهم، خرَّ ساجدًا لله رب العالمين.





فتح بلاد الشام

أراد أبو بكر الصديق أن يفتح الشام قبل وفاته فأرسل أربعة جيوش إليها، وسارت هذه الجيوش وقاتلت الروم، فلقيت منهم مقاومةً شديدة، فرأى أبو بكر أن يُعزز هذه الجيوش ببعض أبطال المسلمين، الذين يُحاربون الفُرسَ في العراق، فكتب إلى خالد بن الوليد، سيف الله المسلول، أن يسير من العراق إلى الشام. واجتمعت جيوش المسلمين تحت إمرة خالد، واجتمعت جيوشُ الروم تحت إمرة ملكهم هرقل. وجاءت الأنباءُ بموت أبي بكر وتولية عمر الخلافة، وقد التقي الجيشان عند نهر اليرموك، وقد دارت رحى معركة فاصلة، بين الرُّوم والمسلمين. وجاءت الأنباءُ بعزل خالدٍ وتولية أبي عُبيدة بن الجراح، قائدًا عامًّا على جميع جيوش المسلمين، فكتم خالدٌ هذا النبأ، حتى تمت له هزيمة الرُّوم، ثم أعلن النبأ، وأعلن قبوله أن يعمل كأحد الجُند في جيش أبي عبيدة، فقد كان خالدٌ في سبيل الله، سواءً عنده أكان قائدًا أم جنديًا.



وسار أبو عبيدة بالجيوش، وقد جعل وجهته دمشق، عاصمة الشام، فجاءتهُ الأخبارُ بأن المدد قد أتي أهل دمشق من حمص، فأصبح لا يدري أيبدأُ بغزو دمشق أم بمدينة فحل من بلاد الأردن، فكتب في ذلك إلى عمر بن الخطاب، فلما جاء عمر الكتاب، كتب إلى أبي عبيدة: «أما بعد، فابدءوا بدمشق، فإنها حصن الشام، وبيتُ مملكتهم، واشغلوا عنكم أهل فحل بخيل تكون بإزائهم في نحورهم».

فسرَّح أبو عبيدة إلى فحل عشرة قواد، فلما رأت الروم أن الجنود تُريدُهم، بثقوا المياه حول فحل: أطلقوا ماء بُحيرة طبرية ونهر الأردن في الأرض حولهم، فأردغت الأرض، ثم توحلت، وتعذَّر السيرُ فيها، فوقفوا بإزاء الرُّوم وحاصروهم.

وأرسل أبو عبيدة جيشًا آخر، ليقف بين دمشق وحمص، حتى يتعذَّر على هرقل ملك الرُّوم، الذي كان في حمص، أن يُرسل المدد إلى دمشق، إذا ما هاجمها أبو عبيدة بجيشه.



وسـار أبو عبيدة إلى دمشق، وقدجعل على مقدمته خالد بن الوليـد، وعـلى مُـجنبتيه عمرو بن العاص وأبـا عبيدة، وانطلقوا قاصدين دمشق.

سـار خالدٌ حتى أشرف عـلى موضع يقال لـه الثنية، فوقف هنـاك، وركز راية العقاب، فسـميت: «ثنية العقـاب»، ثم ارتحل منها إلى دير، وأقام على الدير ينتظر قدوم أبي عبيدة، فسُمي ذلك الديرُ فيما بعدُ «دير خالد».

وبلغ هرقل قدومُ خالد على دمشـق، فغضب، وجمع رجاله، وقال:

هؤلاء العرب قد توجهوا إلى الربوة ففتحوها، فواكرباه! لأن دمشـق جنة الشام، وقد سـارت إليها الجيوِش: أيكم يتوجه إلى قتال العرب، ويكفيني أمرهم، أعطيتُه ما فتحوه ملكًا؟

فقـال أحدُ فرسـانهم الشـجعان: أنـا أكفيـك، وأردُّهم على أعقابهم مُنهزمين.





وجهَّزه الملك، وخرج على رأس خمسة آلاف فارس ليرُد العرب عن دمشق جنة الشام. وزحف جيش الرُّوم على جيش خالدٍ كالجراد المُنتشر. فلما نظر خالدٌ ذلك، تدرع بدرعه، ثم صرخ في وجه المسلمين، وقال:

هذا يومٌ ما بعده يوم، وهذا العدوُّ قد زحف بخيله، فدونكم والجهاد، فانصروا الله ينصركم، وكونوا ممن باع نفسه لله عَزَّوَجَلَّ.

هجم المسلمون على الروم، ودار القتال، وتطايرت السهام، ورأى الروم من العرب شجاعةً أفزعتهم، فانسحبوا إلى دمشق، وأغلقوا أبوابها، وراحوا يجمعون جموعهم، ليستأنفوا القتال بعد أن يُضمدوا جروحهم ويُسوُّوا صفوفهم.

وأقبل أبو عبيدة في جيشه، فأسرع خالدٌ إليه يخبره بما كان بينه وبين الرُّوم، وأقبل المسلمون يُسلم بعضُهم على بعض، فلما كان الغد، ركب الناسُ خيولهم وتزينت المواكب، وزحف أهل دمشق للقتال، فقال خالدٌ لأبي عبيدة:





إن الـروم قد انخذلوا، ووقـع الرُّعبُ في قلوبهم، فاحمل بنا على القوم.

فقال أبو عبيدة: هذا هو الرأي السديد.

ونـزل خالدُ بن الوليد على الباب الشرقـي، ونزل أبو عبيدة على باب الجابية الكبير، ونزل عمرو بن العاص والقوادُ الآخرون عـلى بقية أبـواب البلـد، ونصبوا المجانيـق والدَّبابات. واسـتمرَّ الحصار، وراحت الشُّهور تمرّ والروم في حصون المدينة يقاومون، ويُرسـلون إلى ملكهم هرقل، الذي كان بحمص، يطلبون المدد، فأرسـل إليهـم خيـولًا لتُغيثهم، ولكـن جيش المسـلمين، الذي وقف بين حمص ودمشـق، هزم المدد، فوقع أهلُ دمشـق في حيرة شديدة.

اشـتدَّ الحصار، ولكن لم يـدبَّ الضعفُ في الرُّوم المتحصنين في الحصـون، كانـوا ينتظرون الشِّـتاء، وكانوا يأمُلـون أن ينفضَّ العرب أبنـاءُ الصحراء عن حصارهم إذا اشـتدَّ البرد، فقد كانوا يعتقدون أنهم لا يستطيعون احتماله. وجاء الشتاءُ ببرده الشديد،





وظلَّ المسلمون على حصار دمشق. وانقضى الشتاء، وأقبل الرَّبيع، فضعُف الرُّوم، وتيقَّنوا أن المسلمين لن يرجعوا عن دمشق حتى يفتحوها، ويستولُوا عليها. وأراد قائدُهم أن ينفُخ فيهم الحماسة، فوقف بينهم وقال لهم:

- إنه قد طاف عليكم قومٌ لا أمان لهم، وقد أتوا يسكنون بلادكم، فكيف صبرتم على ذلك، وعلى هتك الحريم، وسبي الأولاد، وتكون نساؤكم جواري لهم، وأولادُكم عبيدًا لهم؟

فقالوا له:

- ها نحن بين يديك، وقد رضينا بما رضيت لنفسك، فإن أمرتنا بالخروج خرجنا معك، وإن أمرتنا بالقتال قاتلنا.

- إني قد عزمتُ على أن أهجُم عليهم الليلة، فإن الليل مَهيب، وأنتم أخبرُ بالبلد من غيركم.

- حُبًّا وكرامة.

وراح القائدُ يفرِّق جنوده، ففرَّق القوم على الباب الشرقيِّ فرقة، وعلى باب الجابية فرقة، وعلى كل باب جماعةٍ.



وفي سكون الليل فُتحت الأبواب، وتسلل الرُّوم ليقتلوا العرب وهم نائمون، ولكن المسلمين كانوا في يقظة، فلما رأوا قدوم الرُّوم،أيقظ بعضهم بعضًا، وتواثب الرجال من أماكنهم كالأسود، فتقاتل القومُ في جُنح الظَّلام، وأسرع خالدٌ إلى جنوده وهو يصيح:

أبشروا يا معاشر المسلمين، أتاكم الغوثُ من ربِّ العالمين، أنا الفارسُ الصِّنديد، أنا خالد بن الوليد.

وعلا الرومُ الأسوار، وراحوا يرمون المسلمين بالنبال، واستمرَّ القتال في الليل، وكانت ليلةً مقمرة، فقُتل من الرُّوم خلقٌ كثير، ولم يستطيعوا صبرًا، فانسحبوا إلى المدينة، وأغلقوا أبوابها خلفهم.

واجتمع كبارُ أهل دمشق إلى قائدهم، وقالوا له:

أيها السيد، إنا قد نصحناك، فلم تسمع لقولنا، وقد قُتل منا أكثر الناس، فصالح، أصلحُ لك ولنا، وإن لم تُصالح صالحنا، وأنت وشأنك.





فقال لهم: يا قومُ أمهلوني حتى أكتب إلى الملك.

اشتدَّ الأمرُ على أهل دمشق، فأرسلوا إلى خالدٍ أن أمهلنا، فأبي خالدٌ إلَّا القتال، وتحدث أهلُ دمشق في أمر الصُّلح فقالوا لرجل من حكمائهم.

- كيف الرأي عندك، فنحنُ نعلم أن هذا الأمير الذي على الباب الشرقي «خالد بن الوليد» رجلٌ سفاكٌ للدِّماء؟

فقال الرجل: إذا أردتُم تقارُب الأمر، فامضُوا إلى الذي على باب الجابية «أبي عبيدة»، وليتكلم رجلٌ يعرف العربية ويقول:

«يا معشر العرب، الأمان حتى ننزل إليكم، ونتكلم مع صاحبكم».

وصعد رجلٌ من الرُّوم يعرف العربية، على سور المدينة، وصاح يطلبُ الأمان، فأرسل إليه أبو عبيدة أبا هريرة صاحب رسول الله، فقال:

- لكم الأمان.





أنا أبو هريرة، صاحبُ رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولو أن عبيدًا لنا أعطوكم الأمان والذمام، ونحن في الجاهلية لما غَدَرنا، فكيف وقد هدانا الله إلى دين الإسلام؟

وذهب وفدٌ من الروم إلى أبي عبيدة، ليتكلَّموا في أمر الصلح.

ووُلد لبطريق دمشق مولودٌ في هذه الليلة، فأعدَّ وليمةً فاخرة، دعا إليها الجنود، فأكلوا وشربوا وتعبوا، فناموا عن مواقعهم، وكان خالد بنُ الوليد يرقُبُ حركاتهم، ينتظرُ فرصةً يغفلون فيها، ليهجم عليهم، ويفتح مدينتهم، التي دام حصارها أربعة أشهر، فلما لم يجد جنود الرُّوم على أسوار المدينة، أرسل بعض عيونه، ليروا ما الخبر؟ فعادوا إليه وأخبروه أن الجنود مشغولون بوليمة البطريق.

وأعد خالدٌ سلالم من حبال، ودعا بعض أبطال المسلمين، وقال لهم:

اتبعوني.





وقال لجيشه:

إذا سمعتم تكبيرنا فوق السُّور، فارقوا «فاصعدوا» إلينا.

وكان حول الحصن خندقٌ به ماء، فقطع خالدٌ وأبطالُ المسلمين الخندق سباحة، حتى إذا بلغوا الحصن نصبوا السلالم، وقد ثبَّتوا أعاليها بالشُّرُفات، وصعدوا فيها، حتى إذا استووا على السُّور، رفعوا أصواتهم.

الله أكبر ... الله أكبر.

وسمع جيشُ خالدٍ التكبير، فأسرع المسلمون إلى الحصن، وصعدوا في تلك السَّلالم، وهبط خالدٌ وأصحابه من السُّور إلى البوابين فقتلوهم، وقطع خالدٌ وأصحابُه أغاليق الباب بالسُّيوف، وفتحوا الباب عنوة، فدخل المسلمون من الباب الشرقي كالموج، وراحوا يقتلون من وجدوه، فإذا بالمسلمين الذين دخلوا من الأبواب الأخرى يقولون لهم:

إنا قد أمّنّاهم.

فقال خالد: إني فتحتُها عنوة.





فأرسل إليه أبو عبيدة أن يكف عن القتال، فقد صالح الناس وأمنهم، ولما كان أبو عبيدة هو الأمير، فقد سمع خالدٌ لأمره، وأجرى الصُّلح على الجانب الذي فتحه.

وفُرضت الجزيةُ على أهل دمشق يدفعونها للمسلمين، على أن تترك لهم حُرية العبادة، وعلى أن يتولى المسلمون حماية مدينتهم وأموالهم. واستقرَّ المسلمون بعاصمة الشام، وجلت عنها حاميةُ هرقل، وراح المسلون يتبعون الرُّوم، فلم يجد هرقلُ بدًّا من أن يفرَّ إلى القسطنطينية، وأن يترك الشام للعرب.





عمر وسعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

هـزم الفـرس المسـلمين في موقعـة الجسر، وفرَّ المسـلمون إلى المدينـة، فعزَّ ذلك على عمـر أمير المؤمنين، فنـادى في المدينة: «الصلاة جامعة»، وكان هذا هو النداءُ كلما أراد الخليفةُ أن يجمع المسـلمين لأمر عظيم، فاجتمـع الناسُ إليه، فأخبرهـم أنه عازمٌ على أن يخرج بنفسه لقتال الفُرس، فقال النَّاس:

❁ سر وسر بنا معك.

فقال لهم عمر: استعدُّوا وأعدُّوا، فإني سائرٌ إلى أن يجيءَ رأيٌ هو أمثلُ «أفضلُ» من ذلك.

وأرسل عمر إلى أهل الرأي والشورى، ودخل عليه عليٌّ بن أبي طالب أول من دخل، فقال له عمر:

❁ ما ترى يا أبا الحسن، أسيرُ أم أبعث؟

❁ سر بنفسك، فإنه أهيبُ للعدو، وأرهبُ له. ودخل عليه عبدُ الرحمن بن عوف، فقال له عمر:

❁ أسير أم أبعث؟





- فُديت بأبي وأمي، أقم وابعث، فإنه إن انهزم جيشُك، فليس ذلك كهزيمتك، وإنك إن تُهزم أو تقتل، يكفُر المسلمون، ولا يشهدوا أن لا إله إلا الله أبدًا.

وخرج عبد الرحمن، ودخل عثمان بن عفان، فقال له عمر:

- يا أبا عبد الله، أشر عليَّ، أسيرُ أم أُقيم؟

- أقم يا أمير المؤمنين وابعث الجيوش، فإني لا آمن إن أتى عليك آت، أن ترجع العربُ عن الإسلام، ولكن ابعث الجيوش، وداركها بعضها على بعض، وابعث رجلًا له تجربةٌ بالحرب ومضربها.

- ومن هو؟

- عليٌّ بن أبي طالب.

- فالقهُ وكلمه، وذاكره ذلك، وانظر أتراهُ مسرعًا إليه أم لا؟

وخرج عثمان وقابل عليًّا. فذاكره ذلك، ولكن عليًّا أبي ذلك وكرهه، فعاد عثمان وأبلغ عمر رفض عليّ، واجتمع





أهل الرأي ثانية، يبحثون فيمن يُولونه حرب الفُرس، قال بعض الحاضرين:

- قد وجدتُه.
- فمن؟
- الأسدُ عاديًا.
- من هو؟
- سعد بن أبي وقاص.

فقال عمر: أعلم أن سعدًا رجلٌ شجاع، ولكني أخشى أن لا يكون له معرفةٌ بتدبير الحرب.

فقال عبد الرحمن بن عوف: هو على ما تصف من الشجاعة، وقد صحب رسول الله ﷺ وشهد بدرًا، فاعهد إليه عهدًا، وشاورنا فيما أردت أن تُحدث، فإنه لن يخالف أمرك.









موقعة القادسية

أصبح سعد بن أبي وقاص قائد الجيوش الذاهبة لقتال الفُرس، فسار حتى نزل القادسية، فأسرع أهل العراق إلى كسرى يزدجرد، يستغيثون ويُخبرونه بنزول العرب، وتفرُّق سراياهم للغارة، وطلبوا منه النجدة والعون، فأرسل في استدعاء رُستم قائد جيوشه، وقاله له:

❁ جاء العرب لمناجزتنا في عقر دارنا، وإني رأيت، وأنت قائدُ قُواد الدولة، وصاحبُ الرأي فيها، أن أُوجهك في هذا الوجه، فأنت رجلُ فارس اليوم، وترى ما حلَّ بالفُرس، مما لم يأتهم مثلُه.

وأخذ رُسْتُمُ يستعِدُّ لقتال المسلمين، فجعل على مقدمته الجالينوس في أربعين ألفًا، وعلى ميمنته الهرمزان، وعلى ميسرته مهران.

وتقدمت جيوش رستم حتى نزلت بسباط، بين المدائن والقادسية، بمائة ألف مقاتلٍ أو يزيدون، وراح سعدٌ ينتخب من





يرسلهم إلى يزدجرد، ليدعوه إلى الإسلام أو الجزية، قبل أن يأمر بالحرب، فانتخب نفرًا من قادة المسلمين، وأرسلهم إلى رستم.

دخل الوفد الإسلاميُّ على رستم، وطلبوا منه مقابلة يزدجرد، لعرض شروطهم عليه قبل القتال، ولما كان رستم لا يرغب في القتال؛ فقد أرسلهم إلى المدائن، عاصمة فارس، فساروا في طرقاتها مرفوعي الرُّءوس، وخرج الناس ينظرون إلى أشكالهم وأرديتهم على عواتقهم، وسياطهم بأيديهم، والنعال في أرجلهم، وخيولهم الضعيفة تخبط على الأرض بأرجلها، وجعل الناس يتعجبون منهم غاية العجب، ويتساءلون: كيف تمكن مثل هؤلاء من قهر جيوشهم مع كثير عددهم وعددها؟

جلس الملكُ يزدجردُ على عرشه، يحوطُه خدمه وحشمه وأعيانُ القوم، وأذن للوفد بالمثول، فدخلوا جميعًا شامخي الأنوف، وجيء بالترجمان، فقال له يزدجرد:

- سلهم ما جاء بهم؟ وما دعاهم إلى غزونا، والتوغُّل ببلادنا.



نحن ندعوكم إلى ديننا، وهو دينٌ حسن الحسن وقبح القبيح كله، فإن أبيتُم، فأمرٌ من الشر هو أهونُ من آخر شر منه: الجزية، فإن أبيتُم فالمناجزة «القتال»، فإن أجبتم إلى ديننا خلَّفنا فيكم كتاب الله، وأقمناكم عليه، على أن تحكُموا بأحكامه، ونرجع عنكم، وشأنكم وبلادكم، وإن اتقيتمونا بالجزية قَبِلْنا ومنعناكم، وإلا قاتلناكم.

وثار يزدجرد، فما كان يصدق أن العرب، الذين كانوا أشقى أُمةٍ في الأرض، قبل أن يُرسل الله إليهم محمد بن عبد الله ليرفعهم من الذُّل إلى الكرامة والعزة، يعرضون عليه أن يترُك دينه، ليدخل في دين جديد، أو يدفع لهم الجزية، أو يستعد للحرب والقتال، فقال في غضب:

لولا أن الرُّسل لا تُقتلُ لقتلتُكم، لا شيء لكم عندي.

خرج رستم من معسكره، وسار حتى بلغ قنطرة القادسية، فتأمل جيش المسلمين، فرأى عسكرًا كثيرًا، فأحسَّ ضيقًا، وأقبل الليل، فدخل سريره لينام، ولكن النوم جافاه، وأخذ يتقلب في فراشه ضجرًا، وهو يفكر في العرب الذين جاءوا لقتالهم. وأخيرًا



نام، فرأى فيما يرى النائمُ ملكًا وأعرابيًّا يدخلان عسكر الفرس، وعلم أن الأعرابي هو عمر خليفة المسلمين، ثم رأى الملك يتجهُ إلى سلاح فارس فيختمه ثم يجمعه، ويدفعُه إلى عمر، وقام من نومه مرعوبًا، ولما هدأ نام ثانية، فرأى في الحُلم أن أعرابيًّا يدخل عليه ويذبحُه، فهبَّ من نومه مفزوعًا.

وجاء يومُ القتال، فأرسل رستمُ رسوله إلى سعد بن أبي وقاص، يقوله له:

- إما أن تعبُرَ إلينا أو تترُكنا نعبرُ.

فقال له سعد: بل اعبرُوا أنتم.

وعبر الفُرس، وتأهب الجيشان للقتال، واهتم يزدجرد بأمر هذه الوقعة اهتمامًا عظيمًا، وما كان يطيق أن ينتظر الأنباء حتى تصل ليه، بل شاء أن تبلغه أولًا فأولًا، فوضع رجُلًا على باب إيوانه، ووضع آخر خارج الدار، ووضع ثالثًا على بُعدٍ من الثاني، بحيث يسمع ما يهتف به، ووضع رابعًا وخامسًا وسادسًا وهكذا، حتى بلغ الرجالُ ميدان القتال، فلما نزل رستم، صاح من في الميدان:





نزل رستم:

فصاح من يليه.

نزل رستم:

واستمر هذا الخبر ينتقل من رجل إلى رجل، حتى بلغ مسامع يزدجـرد، وأخذ من في الميدان يصف ما يحـدثُ أمامه، والرجال يتصايحون بما يصف، فراح يصيح:

رستم يلبس درعين ... رستم يعبئُ في القلب ثمانية عشر فيـلًا، عليها الصناديقُ والرجـال ... القنطرة بين خيلنا والرجال ... وخيول المسلمين ... الأعداءُ يأخذون مصافهم.

واسـتمر من في الميدان يصف ما يحـدث أمامه، فتبلغ الأنباءُ الملك يزدجرد وهو في قصره.

وهتف سعد: الله أكبر!

وكبَّر المسلمون خلفه، وتزاحفوا ليقاتلوا في سبيل الله صفًّا؛ كأنهم بنيانٌ مرصوص.





راح المسلمون يطعنون الفيلة، ولكن الفيلة كانت تُشيع الفوضي بينهم، وصاح صائح:

يا معشر الرُّماة. سددوا سهامكم إلى رُكبان الفيلة.

وأخذت سهامُ المسلمين تتطايرُ في الجو، وتثبتُ في صدور الرجال الراكبين الفيلة، وتسلل بعض العرب حتى أصبحوا خلف الفيلة، فأخذوا بأذنابها، وقطعوا الحبال التي تُثبتُ التوابيت على ظهورها، فسقط من في التوابيت، وراحت الفيلة تدوس من وقع، وشاع الاضطرابُ في نفوس الفُرس، واشتد القتال، حتى إذا ما غربت الشمس، هدأت المعركة، ثم توقف الفريقان عن القتال، وراحا يستعدان لاستئنافها مع الصباح.

وأصبح الصباح، وتأهَّب المسلمون للقتال، وإذا بهم يلمحون فارسًا يطوي الأرض طيًّا، فلما اقترب من المسلمين صاحوا فرحين:

إنه القعقاع بن عمرو. إنه من قال أبو بكر عنه: لا ينهزمُ جيشٌ فيهم مثلُ هذا.





وتقدم القعقاع من سعد، وقال له:

أرسل عمر إلى أبي عبيدة كتابًا، بصرف أهل العراق أصحاب خالد مددًا لك، فسرَّح أبو عبيدة ستة آلاف، وأمر عليهم ابن أخيك هاشم بن عتبة، فأمرني هاشمٌ على مقدمته، فرأيت أن أُسرع، لأبشركم بالمدد العظيم.

فقال سعدٌ في سرور: إنه النصرُ إن شاء الله.

وارتفعت تكبيرةُ سعد تشقُّ الفضاء، ودارت المعركة، وانقضى النهار، وأقبل الليل، ولكن نار المعركة ظلت مشبوبة. رأى المسلمون انتصارهم الباهر، فعزموا على أن يستمرّوا في القتال حتى يتم لهم النصر. ودارت المعركة، وانتصف الليل وقصف السُّيوف يدوي، ويمزقُ السكون.

وأشرقت الشمس، ووصل مددُ المسلمين، وهجموا على الفيلة يُسددون رماحهم إلى عُيونها، فكانت الفيلةُ تضربُ على غير هُدى، فإذا اتجهت إلى صفوف المسلمين نخسُوها، فتعود إلى صفوف الفُرس فينخسونها، واستمرت كذلك بين العسكرين،





وأخـيرًا يممت صوب النهر ونزلت فيه، وخلا الميدانُ من الفيلة فحمد المسـلمون الله، وراحوا يقاتلون قتـال الأبطال الصناديد.

واسـتمرت المعركـة طـوال الليل، وبدأ الضعـف يدب في جيش رسـتم، فراح المسـلمون يقتلون الفُرس. ورأى رستم نفسه أمام بطل من أبطال المسـلمين، والموتُ يُطل من سـيفه، فجرى رستم حتى بلغ النهر، فألقي نفسـه فيه، وأخذ يسـبح، فاقتحم المسـلمُ النهر، وأمسـك برُسـتم وخرج به إلى الشـاطئ، ثم تناول سـيفًا وضربه به، ثم صاح:

 إليّ .. إليّ! قتلتُ رُستم وربِّ الكعبة ... قتلتُ رستم.

رأى الفُرسُ ما حلَّ برُسـتم، فدب الذُّعـرُ بينهم، وانهزموا، وراحـوا يعـبرون النهـر وسـيوفُ المسـلمين تعمـل في رقابهـم، وانتهت موقعةُ القادسية بانتصار المسلمين نصرًا مبينًا.

وتكدست الغنائم، فأخذ سعدٌ في تقسيمها، فاحتجز الخُمس لأمير المؤمنين، وقسم الباقي على الناس، فنالهم خيرٌ كثير.





انتصار المسلمون في موقعة القادسية

كان عمر بن الخطاب يخرجُ كل يوم من داره، ويسيرُ في طرقات المدينة حتى يبلغ خارجها يتنسم أخبار المعركة الدائرة بين المسلمين والفُرس، كان يسأَلُ القادمين عن الأخبار، ولمح رجُلًا على ناقةٍ يسيرُ مسرعًا صوب المدينة، فأسرع عمر إليه يسأله.

- مِنْ أين؟
- مِنَ القادسيَّة.
- يا عبد الله حدثني.
- هزم الله العدو، وانتصر المسلمون، وقُتل رستم والجالينوس وقوادٌ كثيرون، وكانت معركة ما شهد العرب مثلها، وغنمنا غنائم لا حصر لها.

واستمرَّ القادمُ يصف ما دار في القادسيَّة وهو على ناقته، وعمر يسيرُ على قدميه ويستخبرُه، حتى بلغا المدينة. فراح عمر





يسـلمُ على الناس، فيردُّ الناسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وعليك السلام يا أمير المؤمنين».

فنزل الراكبُ عن ناقته، وتقدَّم من عمر، وقال:

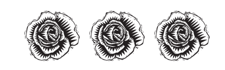
- فهلاّ أخبرتني رحمك الله أنك أميرُ المؤمنين؟

فقال له عمر:

- لا عليك يا أخي.
- أنـا سـعدُ بـن عُميلـة الفـزاري، قـد بعثني سـعدٌ إليك بكتاب.

فتناول عمـر الكتاب، وذهب إلى المسـجد، وقام في الناس، فقرأ عليهم: «أما بعد، فإنَّ الله نصرنا على أهل فارس...».

فسرت في المدينة موجةُ غبطةٍ وسرور.







عمر في بيت المقدس

كانت جيوشُ المسلمين تحاربُ الروم في الشام، فكان أبوعبيدة وخالد بن الوليد في شُغل بفتح حمص وحلب وأنطاكية. وتقدم عمرو بن العاص، وحاصر بيت المقدس، وكان قائدُ جيوش الروم أرطبون، وكان داهيةً من دُهاتهم، فوجد عمرٌو في قتاله تعبًا شديدًا، فكتب إلى عمر يصفُ له ما يُلاقيه من شدَّة، ووصف له دهاء أرطبون، فقال عمر بن الخطاب لمن حوله: «قد رمينا أرطبون الروم بأرطبون العرب، فانظروا عمَّ ينفرج».

كان عمرٌو داهيةً من دُهاة العرب، وكان أرطبونُ داهيةً من دُهاة الروم، فقال عمر، إن الحرب تدور الآن بين داهية العرب وداهية الروم، فلننظر من منهما ينتصر!

كان عمرو بن العاص يُرسل الرُّسل للتَّفاوض في الصُّلح، وأمرهم أن يُوافوه بمداخل العدو، ومعرفة كل شيء عنه، حتى يستفيد بما يجمعُ من معلومات في حربه، ولكن الرُّسُل لم يشفُوا





غليلـه، فرأى أن يحتال، وأن يذهب بنفسـه لمقابلة أرطبون، دون أن يكشف شخصيته.

وتنكر عمرٌو، وسـار إلى أرطبون، ودخل عليه كأنه رسول، وجعل عمـرٌو وأرطبـونُ يتحدَّثان، فداخلت أرطبـون الرِّيبةُ في شخص محدِّثه، وجده واسع الأُفق، غزير المعرفة، فقال في نفسه: «والله إن هـذا لعمـرٌو، أو أنه الذي يأخذُ عمـرٌو برأيه، وما كنتُ لأُصيب القوم بأمر أعظم عليهم من قتله»!

ثـم دعا أرطبونُ جنديًّا من رجال حرسـه، فأسر إليه: إذا مرَّ العربيُّ بمكان كذا، أن يقتله. وفطن عمرٌو إلى أن في الأمر خديعة، وأن أرطبون يُدبرُ قتله، فقال لأرطبون:

قد سـمعت مني وسـمعتُ منك، فأما مـا قُلته فقد وقع مني موقعًا، وأنا واحدٌ من عشرة، بعثنا عمر بن الخطاب مع هذا الوالي لنُكاشـفه، ويُشـهدنا أموره، فأرجع فآتيـك بهم الآن، فإن رأوا في الـذي عرضـت مثل الـذي أرى، فقد رآه أهلُ العسـكر والأمير.

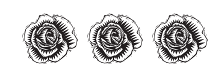


وطمع أرطبونُ في أن يقتل العشرة الذين يُشيرون على الأمير، فأرسل إلى الحارث الذي أسرَّ إليه بقتل العربي أن يتركه، وخرج عمرٌو مُسرعًا بعد أن خدع أرطبون الروم، ونجا بنفسه من القتل، وعرف أرطبونُ بعد ذلك، أن الذي كان يحادثهُ هو عمرو بن العاص نفسُه، أنه خدعه لما قال له: إنه واحد من عشرة يستشيرُهم الأمير، وإنه راجعٌ ليأتيه بهم، فقال أرطبونُ في حسرة:

- خدعني الرجُل، هذا أدهي الخلق!

وبلغ عُمر بن الخطاب ما حدث، فقال:

غلبهُ عمرو، لله عمرو!





حصار المسلمين لبيت المقدس

كان حصارُ المسلمين لبيت المقدس في فصل الشتاء والبرد، فأقاموا عليها أربعة أشهر في أشدِّ قتال، مع الصبر على المطر والثلج، ورأى عمرٌو أن يطلب من عمر بن الخطاب مددًا، فكتب إليه، فلما جاء كتابُ عمرو إلى أمير المؤمنين، قرأه على الناس، وسألهم: أيخرُج بنفسه، أم يُرسلُ الجنود؟ فقال له عثمانُ ابن عفان:

❁ لا تركب إليهم، ليكون أحقر لهم.

وقال له عليُّ بن أبي طالب:

❁ سر إليهم، فقد أصاب المسلمين جهدٌ عظيم، من البرد والقتال وطول المقام، فإذا أنت قدمت عليهم، كان لك وللمسلمين الأمن والعافية والصلاحُ والفتح، ولستُ آمنُ أن ييأسوا منك ومن الصُّلح، ويُمسكوا حصنهم، ويأتيهُم المددُ من بلادهم وطاغيتهم، لاسيما وبيتُ المقدس مُعظمٌ عندهم وإليه يحُجون.





مـال عمـرُ إلى رأي عليٍّ بـن أبي طالـب، فقد رأى في سـقوط بيت المقدس القضاء على دولة الروم في الشـام، فاسـتخلف عليَّ ابـن أبي طالب على المدينة، وكتب إلى قوَّاده أن يقابلوهُ في الجابية، القريبة من بيت المقدس.

وركب عمر بعيرًا له، وسار ومعه جماعةٌ من الصحابة، ليس معه إلَّا قربةٌ مملوءةٌ ماء، وجفنةٌ للزّاد وكساءٌ من الصوف، يجلس عليه إذا ركب ويفرشُه تحته إذا نام، وعليه مُرقعةٌ من صوف، فيها أربع عشرة رُقعةً بعضُها من أديم!

ودخل عمر الشام، تلوح صلعتُه للشمس، ليس عليه قلنسُوةٌ ولا عمامة، وراح يتلفَّت حوله، فرأى قصورًا وبساتين، فتلا قول الله تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ﴾ [الدخان: ٢٥ - ٢٧].

وأقبـل القُـواد يسـتقبلون أمـير المؤمنـين وعليهـم الحريـر، فغضب عمر، وسار إليهم ليحصبهم، فما كان الحريرُ لبس القواد الـمُتقشـفين، فاعتذروا إليه بأن عليهم السلاح، وأنهم يحتاجون إليه في حرُوبهم، فسكت عنهم، ثم راح يصافحهم ويعانقهم.



وأقبل المسلمون يُسلمون على عُمر، ثم صلىَّ عمر بالمسلمين صلاة الفجر، ثم خطبهم، فقال:

أيُّها الناس، أصلحوا سرائركم تصلح علانيتكم، واعملوا لآخرتكم تُكفوا أمر دنياكم.

وجلس مع القواد يُحدثونه بما لقوا من الروم، إلى أن حضرت صلاةُ الظُّهر، فطلب الناسُ من عمر أن يطلب من بلال مؤذن الرسول أن يؤذن، فما أذن بلالٌ بعد موت الرسول. طلب عمر منه أن يؤذن، فقام بلالٌ وأذن بصوته العذب الحنون، الذي طالما تردد في جنبات المدينة في عهد مُحمد ﷺ، فهاج صوت بلال الذكريات، فلما قال: «الله أكبر»، خشعت قلوبهم، واقشعرت أبدانُهم، فلما قال: «أشهدُ أن لا إله إلا الله، وأشهدُ أن محمدًا رسول الله»، بكي الناس بكاءً شديدًا، لذكر الله وذكر رسوله، وكاد بلالٌ يقطع الأذان، ولكنه استمر وقد شرق بدموعه، وبكي عمر حتى بل لحيته، وبكي الذين لم يروا مُحمدًا ﷺ، لبكاء إخوانهم.





كان عمر بالجابية، فإذا بفُرسان مُقبلين في أيديهم السُّيوف، فأسرع المسلمون إلى سلاحهم، فقال عمر: إن هؤلاء قومٌ يستأمنون.

واقترب فُرسان الروم، فإذا بهم رسلُ أُسقُف بيت المقدس، قد جاءوا يُصالحون أمير المؤمنين.

عرف أرطبُونُ مقدم عمر، وعرف ما نزل بالرُّوم على أيدي العرب، فانسحب مُستخفيًا إلى مصر، وترك بطريق بيت المقدس يُفاوضُ المسلمين في تسليم المدينة.

طلب البطريق أن يُسلم بيت المقدس لعمر أمير المؤمنين، فأمر عمر بالرِّكوب، فلما هم بالركوب على بعيره، وعليه مُرقعةُ الصُّوف، قال المسلمون:

يا أمير المؤمنين، لو ركبت غير بعيرك جوادًا، ولبست ثيابًا بيضًا، لكان ذلك أعظم لهيبتك في قلوب أعدائك.

فقال عمر: نحن قومٌ أعزَّنا الله بالإسلام، فلا نطلبُ بغير الله بديلًا.





واستمرَّ المسلمون يسألونه ويتلطفون به، إلى أن قبل أن يخلع مُرقعته، ولبس ثيابًا بيضًا، وركب جوادًا من جياد الرُّوم، وطرح على كتفيه منديلًا من الكتان، دفعه إليه أبو عُبيدة، وسار الجوادُ يتبختر في مشيته، ما رأى عمرُ ذلك، نزل مُسرعًا، وقال: أقيلوا عثرتي، أقال الله عثرتكم يوم القيامة، فقد كاد أميرُكم يهلك بما دخل قلبي من العُجب والكبر!

وخلع الثوب الأبيض، ولبس مُرقعته، وركب بعيره.

وسار عمر حتى بلغ بيت المقدس، ففتحت له أبوابُها، وأسرع البطريقُ وأهلُ بيت المقدس يُرحبون بمقدمه، فقد أمَّنهم على حياتهم وعلى أموالهم، وترك لهم كنائسهم وصُلبانهم، وصالحهم على ألا يُكرهوا على دينهم، على أن يُعطوا الجزية. وكان سرورُ أهل بيت المقدس بهذا الصُّلح عظيمًا؛ فأسرعوا يُحيُّون عمر، فلما رآهم عمر في تلك الحالة، تواضع لله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، وخرَّ ساجدًا على قتب بعيره.

ودخل عمر المسجد الأقصى، أول قبلةٍ للمسلمين، والمكان الذي أسرى إليه الرسول: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ



﴿ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ [الإسراء: ١]، وكان الليلُ قد أرخى ستائره، فذهب إلى محراب داود، وظل يُصلي لله رب العالمين. ولما أصبح الصباحُ راح يُشاهدُ آثار الأنبياء، فرأى محراب داود، وصخرة يعقوب، وأطلال هيكل سُليمان، فشكر الله أن جعل فتح هذه البلدة المقدّسة على يديه.

والتفت عمرُ إلى من حوله، وقال:

ارقُبوا لي كعبا.

كان كعبُ الأحبار يهوديًّا ثم أسلم، وكان يعرف العادات اليهودية، فلما جاء كعبٌ قال له عُمر:

أين ترى أن نجعل الـمُصلى؟

فقال كعب: إلى الصَّخْرة.

فلم يعجب هذا الرأيُ عمر، فقد كان اليهودُ يقدسون صخرة يعقوب، فقال:

ضاهيت اليهوديَّة يا كعب ... بل نجعلُ قبلته صدره، كما جعل رسول الله ﷺ قبلة مساجدنا صُدورها، فإنا لم نُؤمر بالصخرة، ولكنا أُمرنا بالكعبة.







فجعل قبلة المسجد الأقصى صدره، ثم قام من مُصلّاهُ إلى كُناسة كانت الرُّومُ قد دفنت بها بيت المقدس في زمان بني إسرائيل، فراح يُزيلها، وقال لأصحابه:

اصنعوا كما أصنع.

ولم يزل عمرُ والمسلون يزيلون الكُناسة، حتى زال كلَّ ما على الصخرة، فقد كانت الموضع الذي أُسري برسول الله إليه.

وتم لعمر فتحُ بيت المقدس، فعاد إلى المدينة، فخفَّ الناسُ إليه يستقبلونه فرحين مستبشرين.







فتح مصر في عهد عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

انتشرت الجيوشُ الإسلاميةُ في الشام فدانت البلاد للمسلمين، وانطلق عمرو بن العاص إلى الساحل يُحاربُ فُلول جُيوش الروم، حتى إذا ما انتصر عليهم، وطهَّر الشام منهم، كتب إلى عُبيدة بن الجرّاح، قائد الجيوش الإسلامية في الشام: «بسم الله الرحمن الرحيم. من عمرو بن العاص إلى أمين الأُمَّة: أمّا بعد، فإني أحمدُ الله الذي لا إله إلا هو، وأُصلي على نبيه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإن الله جَلَّ وَعَلَا قد فتح ما كان قد بقي من الساحل، وأخذنا قيسارية صلحًا، وهرب منها فلسطينُ بن هرقل بأمواله، وعياله، ونحنُ ننتظرُ أمرك والسلام.

فكتب أبو عبيدة إلى عمر بن الخطاب يُبشره بما فتح الله على المسلمين، ويُخبره أنَّ يوقنا حاكم حلب، قد أسلم، وانضم بقواته إلى المسلمين، فلما قرأ عمر كتاب أبي عبيدة، راح يفكر في هؤلاء الرُّوم الذين انتزع منهم الشام. فوجد أنهم يستولون على مصر، وأنهم يستطيعون أن يتجمَّعوا في مصر، وأن يهجمُوا منها،





ليستردُّوا الشام التي خرجت من أيديهم، لذلك عزم على فتح مصر، وطرد الرُّوم منها، فكتب إلى أبي عُبيدة:

«بسم الله الرحمن الرحيم. من عبد الله عمر بن الخطاب، إلى أبي عبيدة عامر بن الجراح، أما بعد: فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو، وأُصلي على نبيِّه محمد ﷺ، وقد فرحتُ بما فتح الله على المسلمين، وما وعدنا به رسولُ الله ﷺ من كُنوز قَيصر، وسيُفتح علينا من كُنوز كسرى. وإذا قرأت كتابي هذا فأْمُر عمرو بن العاص أن يتوجَّه إلى مصر بعسكره».

تجهز عمرٌو وتأهب للغزو، ثم سار بجيشه من الشام قاصدًا مصر، وقد خرج معه يوقنا حاكمُ حلب وبعضُ جنوده، فقد عزم يوقنا بعد أن أسلم أن يُقاتل في سبيل الله، وانطلق الجيش، حتى إذا ما بلغ رفح التفت يوقنا إلى عمرو بن العاص، وقال له:

❁ أنت تري أن تدهم مصر على حين غفلةٍ من أهلها، وأنا ممن يُمكنني ذلك، أُريد أن أتقدَّم إلى أرض مصر، فلعلي أجد لكم بالحيلة سبيلًا.





فقال له عمرو: وفقك الله وأعانك.

وسار يُوقنا وبعض خاصَّته إلى الفرما، ليدخُلوا مصر خلسة، ليُعاونوا عمرًا على فتحها، على حين غفلة من أهلها.

وقد تم ذلك، ودارت معركة شديدة بعد ذلك بين جيش عمرو والروم، وانهزم الروم، ثم توجه عمرو بالجيوش إلى الأسكندرية وتم فتح الأسكندرية من غير قتال، وخرجت مصر من ولاية الروم.





عمر بن الخطاب مع الرعية

خـرج عُمـر ذات ليلة ومعه غلامُه، وسـارا حتـى رأيا نارًا، فقال عمر:

- إني أرى هؤلاء ركبًا قصر بهم الليلُ والبرد، انطلق بنا.

فذهبـا يُهـرولان حتى اقتربا منهـم، فإذا امـرأةٌ معها صبيانٌ لهـا، وقدرٌ منصوبةٌ على النـار، وصبيانُها يتلوون من الجوع، فقال عمر:

- السلام عليكم.

قالت المرأة: وعليك السلام:

- أأدنو؟
- أُدنُ بخير أو دع «أو اذهب».
- ما بالُكم؟
- قصر بنا الليلُ والبرد.
- فما بالُ هؤلاء الصبية؟
- يتلوون من الجوع.








وأي شيء في هذه القدر؟

ماءٌ أُسكتُهم به حتى يناموا. والله بيننا وبين عمر.

فقال عمر مُعتذرًا: رحمكم الله ما يُدري عُمر بكم!

فقالت المرأةُ في إنكار: يتولى أمرنا ويغفل عنَّا؟!

فنظر عمرُ إلى غلامه، وقال له: انطلق بنا.

فذهبا يُهرولان، حتى أتيا دار الدَّقيق، فأخرج عدلا «جوالًا»، وقال لغلامه:

احمله عليّ.

فقال الغلام: أنا أحملُه عنك.

فقال عمر: احمله عليّ.

أنا أحمله عنك.

فقال له عمر في غضب: أأنت تحملُ وزري عني يوم القيامة، لا أمَّ لك؟

فحملـه عليه، وانطلقا يُهرولان، حتى انتهيا إلى المرأة، فألقي العـدل عندهـا، وأخـرج مـن الدَّقيق شـيئًا، وجعـل ينفخُ تحت







القـدر، وكان ذا لحيـةٍ عظيمـة، فـراح الدُّخـانُ يخـرج من خلال لحيته، واسـتمرَّ ينفخ في النار، حتى أنضج الطعام، وأنزل القدر، ووضع الطعام في صحفة «شبه طبق»، وقال للمرأة:

أطعميهم.

وراحـت المرأةُ تُطعـم الصبيان، فلما شـبعُوا قالت له، وهي لا تعرف أنه عُمر:

جزاك الله خيرًا، أنت أولى بهذا الأمر من أمير المؤمنين.

فقال لها عمرُ أمير المؤمنين:

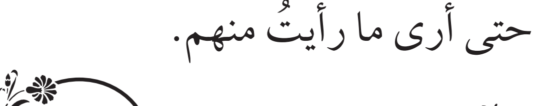
قـولي خيرًا. إنك إذا جئـت أميرالمؤمنين، وجدتني هناك إن شاء الله.

ووقف بعيدًا ينظر إلى الصِّبيان، حتى رأى الصبية يصطرعون ويضحكون، ثم ناموا وهدأُوا، فقال عمر:

الحمد لله.

ثم التفت إلى غلامه، وقال:

إنَّ الجـوع أسـهرهم وأبكاهـم، فأحببـتُ أن لا أنصرف حتى أرى ما رأيتُ منهم.





عدل عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

أجرى عمرو بن العاص الخيل بمصر، فأقبلت فرس، فلما رآها الناسُ قام محمدُ بن عمرو بن العاص، فقال:

- فرسي وربِّ الكعبة.

فلما دنت الفرس، عرفها صاحبُها المصريّ، فقال: فرسي وربِّ الكعبة.

فقام محمد بن عمرو بن العاص إلى المصريّ، فضربه بالسوط، وقال:

- خُذها وأنا ابن الأكرمين.

بلغ ذلك أباه عمرو بن العاص، فخشي أن يشكو المصريُّ ما نالهُ لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب، فحبس الرجل، ولكنه هرب من سجنه، وأتى عمر، فأرسل عمر إلى عمرو أن يأتيه من فوره، ومعه ابنه محمد، فلما مثلا أمام أمير المؤمنين، أعطى عمر درته للمصري، وقال له:

- اضرب بها ابن الأكرمين.





فأخذها الرجل، وضرب محمدًا، ثمَّ طلب منه أن يضرب بها عمرو بن العاص نفسه، قائلًا:

- فوالله ما ضربك إلا بفضل سُلطانه.

فقال المصري: يا أمير المؤمنين، قد ضربتُ من ضربني.

فقال عمر: أما والله لو ضربته ما حُلنا بينك وبينه، حتى تكون أنت الذي تدعُه.

ثم وجه الكلام إلى عمرو، فقال:

- أيا عمرو، متى تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا؟







مقتل عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ

لما انتصر المسلمون على الفرس في موقعة القادسية، أرسل ملك الفرس جيشًا عظيمًا لمحاربة المسلمين وجعل قائد الجيش الهرمزان، وحدث قتال شديد بين جيش الهرمزان وجيش المسلمين، وانتصر المسلمون عليهم ووقع الهرمزان في الأسر، ثم ادعى الهرمزان وهو أسير أنه أسلم، ودخل الإسلام، ولكنه كان يبطن الكفر وكان يحقد على عمر، لأنَّه هزمَهم، لذلك كان يدبِّرُ قتله، وفي ذات ليلة دخل الهرمزان وأبو لؤلؤة غلامُ المغيرة ابن شُعبةَ ورجلٌ ثالثٌ إلى مكان هادئ وراحوا يتشاورون، ثم وضعوا بينهم خنجرًا له رأسان ومقبضه في وسطه، واتفقوا على أن يقتل أبو لؤلؤة عمر.

وخرج عمر يطوفُ في السُّوق فلقيه أبو لؤلؤة، وكان غلامًا للمُغيرة، وقد فرض عليه المغيرةُ درهمين كلَّ يوم، لأنَّه كان صانعًا ماهرًا. قال أبو لؤلؤة:

- يا أمير المؤمنين، إن عليَّ خراجًا كثيرًا.








- وكم خراجُك؟
- درهمٌ في كل يوم.
- وأيش صناعتُك؟
- نجارٌ، نقّاشٌ، حدَّاد.
- فما أرى خراجك بكثير على ما تصنعُ من الأعمال؛ بلغني أنك تقولُ لو أردتُ أن أعمل رحىً تطحن بالريح فعلت!
- نعم.
- فاعمل لي رحىً.
- لئن سلمتَ لأعملنَّ لك رحىً يتحدَّثُ بها من بالمشرق والمغرب.

وانصرف أبو لؤلؤة، وفكر عمر فيما قال، فغمغم:

- لقد توعدني العبد.

وراح عمر يصرفُ أُمور المسلمين، ومرَّت أيامٌ نسي عمر بعدها حديث أبي لؤلؤة، وارتفع صوتُ المؤذن يدعو الناس لصلاة الصبح، فخرج عمر من داره، وذهب إلى المسجد، وتقدَّم





الصُّفوف، فخرج أبو لؤلؤة من بين الصُّفوف، وطعن عمر ثلاث طعنات، فصاح عمر:

- دونكم الكلب، فإنه قد قتلني.

وماج الناس، وخرج رجالٌ وصاح بعضُهم ببعض: «دونكم الكلب». فشدَّ على أبي لؤلؤة رجلٌ من خلفِه، فاحتضنه وقبض عليه، وقال قائل:

- أفي النَّاس عبدُ الرَّحمن بن عوف؟
- نعم يا أمير المؤمنين، هو ذا.
- تقدَّم.

فصلَّى عبد الرحمن بأقصر سورتين في القرآن، ثم أسرع الناسُ إلى عمر، فقال:

- يا ابن عباس، اخرج فناد في الناس: أَعَنْ مَلَاءٍ[1] ورضًا منكم كان هذا؟ «أي هل اتّفقوا على قتله ورضوا عن ذلك»؟

فخرج ابنُ عباس فنادى، فقالوا:

- معاذ الله، ما علمنا.

---

(١) **ملاء**: مساعدة على الأمر.







واحتُمـل عمـر، فأُدخل إلى داره، ودخل عـليٌّ بنُ أبي طالب عليه، فقال له عمر:

يا عليّ، أعن ملاء منكم ورضًا كان هذا؟

فقال علي: ما كان عن ملاءٍ منا ولا رضًا، ولوددنا أنَّ الله زاد من أعمارنا في عمرك.

وكان رأسُ عمر في حجر ابنه عبد الله، فقال له:

ضع خدّي بالأرض.

فلم يفعل، فلحظه وقال:

ضع خدّي بالأرض، لا أمَّ لك!

فوضع خدَّه بالأرض، فقال:

الويلُ لعمر ولأمِّ عمر، إن لم يغفر الله لعمر.

ودخل المهاجرون على عمر فقالوا:

استخلف علينا

والله لا أحملُكم حيًّا وميتًّا، إن استخلفتُ فقد استخلف مـن هو خـيرٌ منـي، وإن أدع فقد ترك من هو خـيرٌ مني. «يقصد النبي وأبا بكر».






ونزف دمُه، فالتفت إليه من عنده وقالوا له:

- يا أمير المؤمنين لو دعوت الطَّبيب.

- افعلوا.

فأرسلوا في طلب الطبيب، فجاء فسقاهُ نبيذًا، فخرج النبيذُ مشكلًا، فقال:

- اسقوه لبنًا.

فسقوه لبنًا، فخرج اللَّبن أبيض، وبان الضعفُ في عمر، فقال لابنه:

- اذهب إلى عائشة، وأقرئها مني السلام، واستأذنها أن أُقبر في بيتها مع رسول الله، ومع أبي بكر.

فذهب إليها عبدُ الله بن عمر، فأعلمها، فقالت:

- نعم وكرامة، يا بني أبلغ عمر سلامي، وقل له: لا تدع أمة محمد بلا راع، استخلف عليهم ولا تدعهم بعدك هملا، فإني أخشى عليهم الفتنة.



فأتى عبدُ الله فأعلمه، فقال:

ومن تأمُرني أن أستخلف؟ لو أدركت أبا عبيدة بن الجرَّاح باقيًا استخلفتُه ووليته، فإذا قدمتُ على ربي فسألني وقال لي: من وليت على أُمة محمد؟ قلتُ إي ربّ، سمعتُ عبدك ونبيك يقول: لكل أُمةٍ أمين، وأمينُ هذه الأُمة أبو عُبيدة بن الجراح، ولكني سأستخلف النفر الذين تُوفي رسول الله وهو عنهم راض.

واختار عمر عليًّا، وعثمان، والزبير، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة، وعبد الرحمن، وقال لهم:

إذا متُّ فتشاوروا ثلاثة أيام، وليصل بالناس صُهيب، فإنه رجلٌ من الموالي لا يُنازعكم أمركم، ولا يأتين اليوم الرابعُ إلا وعليكم أميرٌ منكم.

واشتدَّ به الوجع، ودبَّ فيه الضعف، فراح يُتمتمُ مُستغفرًا ربَّه، ثم شخص ببصره، وفاضت روحُه صاعدةً إلى السماء، راضيةً مرضيَّة.



وجُهز عمر، وتقدم الخمسة: عليٌّ، وعثمانُ، وسعدٌ، والزُّبيرُ، وعبدُ الرحمن بن عوف، وحملوه ونزلوا به القبر، ثم خرجوا من القبر، وأخذ عليٌّ ينفُض رأسه ولحيته، ثم قال:

رحم الله ابن الخطاب، لقد فاز بخيرها، ونجا من شرِّها.





خلافة عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

دُفن عمر بن الخطاب، بعد أن قتله أبو لؤلؤة، وبعد أن جعل الخلافة في عليٍّ وعثمان وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وطلحة بن عُبيد الله. وقد قابل العباسُ ابن أخيه عليَّ بن أبي طالب، بعد أن طُعن عمر وسأله:

- ما العهدُ يا أبا الحسن؟

قال عليّ: جعلها في جماعةٍ زعم أني أحدُهم.

فأطرق العباسُ قليلًا ثم قال: يا بن أخي، لا تدخل معهم، وارفع نفسك عنهم.

فقال عليٌّ في رفق: إني يا عمُّ أكرهُ الخلاف.

فقال العباسُ في ضيق: إذن ترى ما تكره.

وسرى في المدينة قلقٌ بعد دفن عمر، فراح الناسُ يتساءلون عمَّن يكون خليفة المسلمين، وأشفق المُشفقون على المسلمين أن ينشقّوا طوائفَ وشيعًا، وأن يدبَّ الخلافُ بينهم، ولما يستقر





الإسلامُ بعدُ في الأمصار التي فتحوها، وجعل المُخلصون يدعون الله أن يُجنبهم فتنة الدُّنيا.

واتجه عليٌّ وعثمان وسعد وعبد الرحمن والزبير وطلحة، رهطُ الشُّورى، نحو غُرفة عائشة، ليجتمعوا فيها، وينتخبوا من بينهم خليفةً للمسلمين، وتقابل عليٌّ وعمه العباس، فقال عليّ:

سعدٌ لا يخالفُ ابن عمه عبد الرحمن، وعبد الرحمن صهرُ عثمان لا يختلفون، فيولّيها عبد الرحمن عثمان، أو يوليها عثمان عبد الرحمن، فلو كان الآخران معي لا ينفعاني، بله أني لا أرجو إلا أحدهما.

فقال له العباس: لم أدفعك في شيءٍ إلا مُستأخرًا بما أكره! أشرتُ عليك عند وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تسألهُ فيمن هذا الأمرُ فأبيت، وأشرتُ عليك بعد وفاته أن تُعاجل الأمر فأبيت. احفظ عني واحدة: كلما عرضوا عليك القول، فقل: لا، إلا أن يُولوك.





ودخل عليٌّ حجرة عائشة، ثم أقبل عثمان والزُّبير وعبد الرحمن وسعد، ولم يُقبل طلحة، فقد كان غائبًا، ودخل ابن عمر، وجاء عمرو بن العاص، والـمُغيرةُ بن شُعبة، فجلسا بالباب، فلمحهما سعد، فحصبهما وأقامهما، وقال لهما:

- أتريدان أن تقولا حضرنا وكنَّا في أهل الشّورى؟

ودار النقاش بين أهل الشُّورى، وكثُر بينهم الأخذُ والرد، والجذبُ والشدّ، وجعل كلٌّ منهم يذكر فضله وأحقيته بهذا الأمر دون الجميع، ومرت ثلاثةُ أيام ولم ينتهوا إلى رأي، فقال عبد الرحمن بنُ عوف:

- أتدرون أيُّ يوم هذا؟ هذا يومٌ عزم عليكم صاحبُكم «عمر» أن لا تتفرقوا فيه حتى تستخلفوا أحدكم.

- أجل.

فقال عبد الرحمن: أيُّكُم يخرج منها نفسه، ويتقلَّدُها على أن يوليها أفضلكم؟ «أي على أن يختار أفضلكم».





سكتوا، وساد السَّكونُ برهة، ثم قال عبد الرحمن: أنا أنخلعُ منها.

فقال عثمان: أنا أولُ من رضي، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أمينٌ في الأرض، أمينٌ في السماء**».

فقال الزُّبير: قد رضينا.

وقال سعد: قد رضينا.

وظلَّ عليٌّ ساكتًا لا ينطقُ حرفًا، تذكر قول العباس له: كلما عرضوا عليك القول، قل: لا، إلا أن يولُّوك؛ وهم أن يقول: لا، ولكنَّ صوت عبد الرحمن رنَّ في أُذنه.

❁ ما تقول يا أبا الحسن؟

فقال عليّ: أعطني موثقًا لتؤثرن الحق، ولا تتبع الهوى، ولا تخصَّ ذا رحم، ولا تألو الأمة.

فقال عبد الرحمن: أعطوني مواثيقكم على أن تكونوا معي على من بدَّل وغير، وأن ترضوا من اخترتُ لكم على ميثاق الله ألا أخُصَّ ذا رحم لرحمه، ولا آلو المسلمين.



فأخـذ منهـم ميثاقًا وأعطاهـم مثله، وانـصرف الجميع وقد تُـرك الأمرُ بـين يدي عبد الرحمن بن عـوف. وذهب عبد الرحمن إلى عليٍّ وقابله على انفرادٍ، وقال له:

إنَّك تقولُ إني أحقُّ من حضر بالأمر، لقرابتك، وسابقتك، وحسن أثرك في الدِّين، ولم تبعُد ولكن أرأيت لو صُرف هذا الأمرُ عنك فلم تحضُر، من كنت ترى من هؤلاء الرَّهط أحقَّ بالأمر؟

قـال عليّ: عثمان وتقـدم عليٌّ وبايع عثـمان رضي الله عنه، وأصبح عثمان بن عفان أمير المؤمنين، وثالث الخلفاء الراشدين.





فتح أفريقيا

أمـر عثـمانُ عبـد الله بـن أبي سرح أن يخـرُج من مـصر لفتح إفريقية، وقال له:

إن فتح الله عليك، فلك خُمْسُ الخُمْس من الغنائم.

فجهَّز ابن أبي سرح جيشًـا، وخرج من مصر في عشرة آلاف مقاتل، ليفتح شـمال إفريقية وكان الرُّوم يحكمون شمال إفريقية، فتقابلـت جيـوشُ المسـلمين وجيـوشُ الـروم، ودارت معـاركُ رهيبـة، فأيقـن ابن أبي سرحٍ أنه لن يسـتطيع أن ينتصر على الرُّوم في إفريقية، فأرسـل إلى أمـير المؤمنين عثمان بن عفـان يطلبُ منه مددًا، فقام عثمان وطلب من الناس أن يخرجُوا، لشـد أزر جيش المسـلمين، فتقدم عشرة آلاف، فيهم جماعـةٌ من الصحابة، منهم ابن عباس وابن عمر وابن عمرو وابن جعفر، والحسنُ والحُسين، وعبد الله بن الزُّبير، وخرج الجميعُ من مدينة الرسـول، وساروا حتى انضمُّوا لجيوش المسلمين في إفريقية.

والتقي الجيشـان. فأمر جُرجيرُ ملكُ الرُّوم جيشـه أن يلتفُّوا بالمسـلمين، فأحاطوا بهم كالهالة، ودار القتال، فأحسَّ المسلمون



أن أعداءهم أقوياء، وأخذ أبطالُ المسلمين يُدافعون عن أنفسهم، ويهجمُون على الأعداء، ليكسروا حلقة الأعداء التي تريدُ أن تُطبق عليهم، لتقضي عليهم.

كان الموقفُ رهيبًا لم يُر أشنعُ منه، فالموتُ يُحيطُ بالمسلمين من كل جانب، وارتفعت الشمسُ حتى توسطت كبد السماء، وصناديدُ المسلمين ثابتون، واشتدت حرارةُ الشمس، فراح الجيشان ينصرفان، ليستعدَّا لاستئناف القتال في اليوم التالي.

لاحظ ابن الزُّبير غياب ابن أبي سرح عن القتال، فتعجب من ذلك، فما كان من أخلاق قُوادهم أن يتخلفوا عن القتال، بل كانوا دائمًا في الصُّفوف الأولى، فسأل عن سبب تغيبُّه، فقيل له:

❁ إنه سمع منادي جُرجير يقول: من قتل ابن أبي سرح فله مائةُ ألف دينار وأزوجه ابنتي، فخاف وتأخَّر عن شُهود القتال.

ذهب ابن الزُّبير إلى عبد الله بن أبي سرح، ودخل عليه وقال له:







لم تتخلف عن القتال، أمن أجل ما نادى به جُرجير؟ فلتُناد أنت بأن من قتل جُرجيرُ أعطيتُه مائة ألفٍ، وزوجته ابنته.







انتصار جيش المسلمين على جيش الروم

اجتمع جيشُ الرُّوم وجيشُ المسلمين، وبرز مُنادي المسلمين ونادى:

- مـن قتـل جُرجير أعطـاهُ الأميرُ مائـة ألـفٍ وزوجه ابنة جُرجير.

خـاف جُرجـير، وأحـس أن جميـع المسـلمين سـيطلبونه ويُـحاولـون قتله، ليحصُلوا على ما وعدهـم به أميرُهم، فتأخَّر، وقد شـعر بذُعر وقلق، واسـتمرت المعركة، حتى إذا ما ارتفعت الشـمس إلى كبد السـماء، وارتفع صوتُ المؤذن بالظُّهر، انصرف الجيشان ليستعدُّوا لاستئناف القتال في اليوم التالي.

دخل ابن الزُّبير خيمته، وراح يفكرُ فيما شهد في القتال، فرأى بفكره أن الجيشين يُـحاربان حتى الظهر، ثم ينصرفان، وخطر له خاطـرٌ اطمأن إليـه، فذهب إلى عبد الله بـن أبي سرح يقصُّ عليه ما فكر فيه.

خلا ابنُ الزُّبير بعبد الله بن أبي سرح، وقال له:







❁ إن الحرب تدور حتى الظهر، ثم ينصرفُ الجيشان.

❁ نعم.

❁ أرى أن يُترك أبطالُ المسلمين في خيامهم متأهبين للحرب، حتى إذا ما انصرف الرُّوم، هجم عليهم المنتظرون في الخيام.

❁ نعم الرَّأي.

أُعجب ابن أبي سرح بهذه الخطة، فأمر أبطال جيشه بالانتظار في خيامهم، وعدم الاشتراك في الحرب التي تدورُ بين الجيشين من الصُّبح حتى الظُّهر، والخروج عند سماع أذان الظهر، ليحموا ظهر ابن الزُّبير الذي سيتقدَّم لقتل جُرجير.

وطلعت الشمس، وخرج الجيشان للقتال، وتبودلت الضَّرباتُ والطَّعنات، وتلاقت السُّيوف وتصافحت الأجسام، وسالت الدِّماء، وغطَّت الجُثثُ المكان، واقتربت الشمسُ من كبد السماء، فمشي التعبُ في الأجسام، وانتظر الناسُ سماع الأذان، فقد حنت أجسامُهم للرَّاحة، وأذن المؤذنُ بالظُّهر، فافترق المتحاربون، وانصرف كلٌّ إلى عسكره، وهم الرُّومُ



بالانـصراف، وعـين ابـن الزُّبـير على ملكهـم جُرجير، فـرآه من وراء الصُّفـوف وهو راكبٌ على بغلتـه، وجاريتان تُظلانه بريش الطواويـس، فالتفت ابـن الزُّبير إلى أبطال المسـلمين الذين كانوا مُسـتعدين للقتال، والذين لم يشـتركوا في القتـال الذي كان دائرًا من الصُّبح حتى الظهُّر، وقال لهم:

احموا لي ظهري.

ثم سـار بفرسـه إلى ملـك الـرُّوم، وراح يخـترقُ الصُّفوف، والناس يتركونه، فقد حسبُوا أنه ذاهبٌ في رسالةٍ إلى ملكهم، ولما اقـترب منه بان الشرُّ في وجهه، فخـاف الملكُ وهرب على بغلته، فـأسرع ابن الزُّبير خلفه، وهجم فُرسـانُ المسـلمين ليحموا ظهر ابن الزُّبير.

ولحـق ابن الزُّبير الملك، فهجم عليه وطعنه بُرمحه، ثم ضربه بسيفه، وأخذ رأسه، ونصبه على الرُّمح، وصاح:

الله أكبر ... الله أكبر.

فهجم المسلمون على الأعداء، فلما رأى البربرُ الذين في جيش الرُّوم ذلك، خافوا وفرّوا والمسلمون من خلفهم يقتلون ويأسرون، وانتهت المعركة، وقد انتصر المسلمون على أعدائهم نصرًا مبينًا.

أُخذت ابنةُ الملك سبيَّة، فقدَّمها ابن أبي سرح إلى ابن الزُّبير هدية، وغنم المسلمون غنائم كثيرةً وأموالًا، وقسم عبد الله بن أبي سرح الغنائم، فاحتجز الخُمس لأمير المؤمنين عثمان بن عفان، وقسم الباقي على المقاتلين بعد أن احتجز لنفسه خمس الخُمس، كما وعده أميرُ المؤمنين.

كان ما أخذ ابن أبي سرح سلاحًا جديدًا في أيدي أعداء عثمان، فراحوا يقولون إن عثمان يُحابي أهله، ويميلُ إليهم، ويُعطيهم فوق ما يُعطي المسلمين.

وشاء ابن أبي سرح أن يُرسل إلى أمير المؤمنين عثمان، يُخبره أن المسلمين قد فتحوا إفريقية، وأنهم انتصروا على جيش





الرُّوم، فاختار ابن الزُّبير، بطل المعركة، ليذهب إلى عثمان بالفتح العظيم.

خرج ابن الزُّبير قاصدًا المدينة، وجعل يطوي الصَّحاري والوديان، ويتمنَّى أن يكون له جناحان ليطير إلى أمير المؤمنين، ليُنبئه بالخبر العظيم، ووصل أخيرًا إلى المدينة فدخل على عُثمان، وقد بان الفرحُ في عينيه، وأخذ يقصُّ على عثمان ما فعله المسلمون، حتى جاءهم النصر الـمُبين، فالتفت عثمان إليه وقال:

إن استطعت أن تُؤدي هذا للناس فوق المنبر.

أحب عثمانُ أن يسمع الناسُ من ابن الزُّبير ما فعله المسلمون في إفريقية ، فطلب من ابن الزُّبير أن يُحدثهم بما شهد، فخرج ابن الزُّبير، وكان شابًّا، وصعد المنبر، واجتمع الناسُ ليسمعوا ما يقول هذا الشابُّ الذي جاء بالبشارة.

وراح عبد الله بن الزُّبير يقصُّ عليهم ما رأى، فاستولى على الناس، واستمرَّ في إلقائه الهادئ، والتفت فإذا به يرى أباه الزُّبير في جملة من حضر، فلما تبين وجهه كاد أن يتلعثم، فقد كان يهابُه





ويخشاه، ولكن الزُّبير ابتسم له، وأشار إليه يحضُّه على استئناف ما كان فيه، فعاد إلى ابن الزُّبير هدوءه، وقال وتدفَّق، فأحسَّ الزُّبيرُ رضا، وأخذ يستمعُ إلى ابنه وقد تفتَّحت نفسُه، وانشرح صدرُه، وأحسَّ دمعة فرح تكاد تفرُّ من عينيه، فمسحها بظهر يده، وأخذته النَّشوة، وهزَّه الطَّرب، فأحسَّ رغبةً في ضمِّ ابنه إلى صدره. وانتهى ابن الزُّبير من قوله، فنزل، فأسرع إليه الزُّبير، والتفت إليه في حنان، وقال له في إعجاب:

❁ والله لكأني أسمعُ خُطبة أبي بكر الصديق حين سمعتُ خطبتك يا بُني.

وانصرف الناس، وهم مسرورون، فقد فتح المسلمون أفريقية، وانتشر فيها الدِّينُ الإسلاميُّ الحنيف.







مقتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

بـدأت خيـوطُ التآمـر على عثـمان تُـحـاكُ في الظّـلام، ونال النـاس منـه أكثر ما نيـل من أحـد. وكاتب أهلُ مصر أشـياعهم من أهـل الكوفة وأهل البصرة، وتواعدوا عـلى اللقاء في المدينة، فخـرج أهل مصر إلى المدينـة مظهرين رغبتهـم في الحجّ، وخرج أهـلُ الكوفة والبصرة؛ وبالقرب من المدينة سـارت الرُّسـلُ بين جماعات الثُّوار.

بلـغ عثمان أن الثُّوار قد سـاروا إلى المدينة، وكان يعلمُ منزلة عليٍّ في الناس، فأرسل إليه، يطلب منه أن يخرج للقائهم وردِّهم، فخرج عليٌّ وقابل أهل مصر، ثمَّ عاد إلى عثمان وقال له:

- إن وفد مصر يطلبُ عزل عبد الله بن أبي سرح.

كان عبـدُ الله واليًا على مصر، وقـد كره الناس ولايته، وقبل عثمان رغبة المصريين، فأرسل إليهم، يقول:

- اختاروا عليكم رجلًا مكانه.





فاختار النَّاسُ محمد بن أبي بكر، فكتب عثمانُ عهده له وولَّاه، فتأهَّب أهلُ مصر للعودة إلى ديارهم، وسرى هذا النَّبأ في المدينة فانتعشت، وانقضى هذا اليومُ بسلام، وأقبل اليومُ التالي، فدخل مروان بن الحكم، وكان مستشار عثمان وقريبه، وقال له:

تكلَّم. أعلم الناس أن أهل مصر قد رجعوا وأنَّ ما بلغهم عن إمامهم كان باطلًا، فإنَّ خُطبتك تسيرُ في البلاد، قبل أن يتحلَّب «يفد» النَّاسُ عليك من أمصارهم، فيأتيك من لا تستطيعُ دفعه.

فأبى عثمانُ أن يخرج ليخطُب، ولكنَّ مروان لم يزل به حتَّى خرج، واعتلى المنبر وقال:

أما بعد، إن هؤلاء القوم من أهل مصر كان بلغهم عن إمامهم أمر، فلما تيقَّنوا أنه باطلٌ ما بلغهم عنه، رجعوا إلى بلادهم وظن عثمان أن نار الفتنة قد خمدت وانتهى الأمر.







حصار عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

سمع أهلُ المدينة أصوات التكبير، فخرجوا يسألون: ما الخبر؟ فعلموا أن المصريين قد عادوا ليُحاصروا عثمان في داره؛ وأقبل أهلُ الكوفة وأهل البصرة، وقال الثُّوار للناس:

- من كفَّ يده فهو آمن.

وجاء عليٌّ بن أبي طالب، وقال للمصريين:

- ما ردَّكم بعد ذهابكم؟
- أخذنا مع بريدٍ كتابًا بقتلنا.

فدخل عليٌّ مع وفدٍ من المصريين على عثمان، فلما دخل المصريُّون لم يُسلموا على عثمان بالخلافة، ثم قالوا:

- رحلنا من مصر ونحن لا نُريدُ إلَّا دمك أو تنزع «تتُوب» فردَّنا عليّ، ثم رجعنا إلى بلادنا، حتى أخذنا كتابك وخاتمك إلى عبد الله بن أبي سرح، تأمُره فيه بجلد ظهورنا.

فقال عثمان: والله ما كتبتُ ولا أمرتُ ولا شُوورتُ ولا علمت.





فقال عليٌّ بن أبي طالب: قد صدق.

فارتاح إليها عثمان، وقال المصريون:

- فالكتابُ كتابك؟
- أجل، ولكنه كُتب بغير أمري.
- فإن الرسول الذي وجدنا معه الكتاب غلامُك؟
- أجل، ولكنه بغير إذني.
- فالجملُ جملُك؟
- أجل، ولكنه أُخذ بغير علمي.

فقالوا له:

- ما أنت إلّا صادقٌ، أو كاذب، فإن كنت كاذبًا، فقد استحققت الخلع، لما أمرت به من سفك دمائنا بغير حقِّها؛ وإن كنت صادقًا، فقد استحققت أن تُخلع لضعفك وغفلتك وخُبث بطانتك، لأنه لا ينبغي لنا أن نترك على رقابنا من يُقتطع مثل هذا الأمر دونه، لضعفه وغفلته، فارْدُد خلافتنا، واعتزل أمرنا، فإن ذلك أسلمُ منك، وأسلم لك منا.





فقال عثمان:

❁ أمَّا قولُكم تخلعُ نفسك، فلا أنزعُ قميصًا قمصنيه الله عَزَّوَجَلَّ، وأكرمني به، وخصَّني به على غيري، ولكن أتوبُ وأنزع، ولا أعودُ إلى شيء عابه المسلمون، فإني والله الفقيرُ إلى الله، الخائفُ منه.

❁ فلسنا منصرفين حتى نعزلك، ونستبدل بك.





حصار عثمان رضي الله عنه

حُوصر عثمان في داره، وقد حصره المصريُّون، واشترك محمد بن أبي بكر معهم، وأرسل عليٌّ بن أبي طالب ولديه الحسن والحُسين ليقوما على باب عثمان، يدافعان عنه، وجاء بنو أميَّة لينصروا عثمان، ومنع الثُّوار عنه الماء، فأرسل إلى عليٍّ والزُّبير وطلحة وعائشة، يقول لهم:

- إنهم منعونا الماء، فإن قدرتُم أن تُرسلوا إلينا شيئًا من الماء فافعلوا.

فجاء عليٌّ إلى الثُّوار، وقال لهم:

- يأيُّها الناس، إن الذي تفعلونه لا يُشبه أمر المؤمنين، ولا أمر الكافرين، لا تقطعوا عن هذا الرَّجل الماء، فإن الرُّوم وفارس لتأسرُ فتُطعمُ وتسقي، وما تعرض لكم هذا الرجل، فبم تستحلُّون حصره وقتله؟

- لا والله، لا نتركُه يأكل ولا يشرب...





وحاول الثُّوارُ اقتحام الباب، فبرز لهم الحسنُ والحُسينُ وابن الزُّبير، ومن كان من أبناء الصحابة، وتضارب الفريقان بالسيُّوف، فنادى عثمان من يدافعون عنه:

- الله الله! أنتم من حلٍّ من نُصرتي.

فرفضوا واستمرّوا في القتال، ففتح عثمان الباب، وخرج ومعه السيفُ ليُنهيهم، فلما رأى الثُّوار عثمان ثبتوا مكانهم قليلًا، ثم ولُوا فزعين، فأقسم عثمان على المدافعين عنه: ليدخُلُنَّ، فدخلوا، فأغلق الباب دون الثُّوار.

جاء الثُّوار بنار، وأحرقوا الباب، والسقيفة، فأخذ الخشب يحترق، وأغفى عثمان بن عفان، ثم استيقظ فقال:

- لولا أن يقول الناس تمنى عثمان أمنيةً لحدَّثتكم.
- أصلحك الله، حدِّثنا، فلسنا نقول ما يقول الناس.
- إني رأيتُ رسول الله في منامي هذا، فقال: «**إنَّك شاهدٌ معنا الجمعة**».

وأكلت النار الخشب، فسقطت السقيفة، فثار أهلُ الدَّار، وخرج الحسنُ والحسينُ وأبناءُ الصَّحابة يبادرُون الثُّوار، ووقف



عثمان يُصلي في هدوء، كأنَّما الأمرُ لا يعنيه، وجعل يقرأُ في صلاته: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ﴾ [طه: ١ - ٢]. واستمرَّ في قراءته هادئ النفس، أتم صلاته، ثم التفت إلى ابن الزبير، وأمره أن يأمر الذين يدافعون عنه أن ينصرفوا إلى منازلهم.

واستمرَّ القتالُ ناشبًا أمام دار عثمان، فجُرح الحسن، فخشي الثُّوار أن يثور بنو هاشم للحسن، فتسلق الثُّوار، ودخلوا على عثمان دون أن يعلم أحدٌ بذلك ممَّن كانوا بالباب.

فضرب أحدُهم عثمان بحربته، وضربه آخرُ بسيفه. وقامت زوجتُه تدافعُ عنه، فقطع السيفُ أصابعها، فصرخت:

قد قُتل أميرُ المؤمنين.

وبلغ صوتُها آذان المدافعين عن الباب، فأسرعوا بالدخول، فوجدوا عثمان مقتولًا، فبكوا وذاع النَّبأ: ألا إن أمير المؤمنين قد قُتل، فأقبل عليّ، ودخل الدَّار وهو حزين.

ولم يجرُؤ أحدٌ على دفن عثمان، خشية بطش الثُّوار به، فلما جاء الليل، خرج أهلُ الدَّار بجُثمان عثمان وهم يتلفتون، حتى إذا





بلغوا جدارًا دفنوه، وعادوا مسرعين وهم خائفون، وهكذا دُفن عثمان خليفةُ المسلمين، وصهرُ الرَّسول، في سكون الليل، وفي غفلةٍ من الناس!





خلافة علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

قتل المصريون عثمان، وخشي الناسُ الثُّوار، فاعتكفوا في دُورهم، واستمرت المدينةُ تموجُ بالثُّوار موجًا، وأصبحت لا أمير لها، وفكر الناس في مبايعة خليفةٍ لهم، فذهب المصريُّون إلى عليِّ ابن أبي طالب، ولكنه اختبأ منهم؛ لم يكن يقبل أن يبايعه الذين قتلوا عثمان، وظلوا يبحثون عنه حتى لقُوه، فباعدهم، وظلَّ يتبرأُ منهم ومن مقالتهم. وذهب الكوفيُّون إلى الزُّبير. وأرسلوا إليه رُسُلًا لمحادثته في أمر البيعة، ولكنه باعدهم، وتبرأ منهم. وذهب البصريون إلى طلحة، فلقيهم ولم يقبل بيعتهم، وانقضى اليوم الأوَّل، ولم يجد الثُّوار من يقبلُ الخلافة.

وبرزت شمس اليوم الثاني، فراح الثُّوار يفكرون فيمن يُولُّونه الخلافة غير هؤلاء الذين رفضوها، فلم يجدوا من أهل الشُّورى إلا سعد بن أبي وقاص، فأرسلوا إليه وفدًا يُكلِّمهُ في ذلك.





خرج وفدُ الثُّوار، وجاءوا سعدًا، وقالوا له:

- إنَّك من أهل الشُّورى، فرأينُا فيك مُجتمع، فأقدم نُبايعك.

- إني وابن عمر خرجنا منها. فلا حاجة لي فيها على كل حال.

وسادت الفوضى المدينة، وظلَّ الثُّوار يغدون ويروحون بين صحابة الرسول، فقد يسمعُ من في الأمصار بقتل عثمان ولا يسمعون أنه بويع لأحدٍ بعده فيثورُ كلُّ رجل في ناحية، فيكونُ في ذلك الفساد. ورأى كبارُ الصحابة أن يأتُوا عليًّا مرَّةً أخرى، يعرضون عليه الأمر، فدخلوا عليه في داره ومعه ابنه محمد بن الحنفيَّة، فقالوا له:

- إنَّ هذا الرجل قد قُتل ولابدَّ للناس من إمام، ولا نجدُ اليوم أحدًا أحقَّ بهذا الأمر منك، لا أقدم سابقة، ولا أقرب من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فقال عليّ: لا تفعلوا.





وخشى النَّاس أن يُصرَّ على الرَّفض، فقال له الأشترُ؛ وكان من أنصاره:

- ابسُط يدك نبايعك.
- لا حاجة لي في أمركم، أنا معكُم، فمن اخترتم فقد رضيتُ به، فاختاروا.
- والله ما نختارُ غيرك.
- لا تفعلوا؛ فإني أكون وزيرًا خيرٌ من أن أكون أميرًا.

وقال النَّاس لعليّ: إنه لا يصلح الناس إلا بإمرة «أي إلا وعليهم أمير»، وقد طال الأمر.

فقال لهم عليّ: إنكم قد أتيتُم إليّ، وإني قائلٌ لكم قولًا، إن قبلتُموه قبلتُ أمركم، وإلا فلا حاجة لي فيه.

فقالوا له:

- ما فعلت من شيءٍ قبلناهُ، إن شاء الله.
- ففي المسجد، فإنَّ بيعتي لا تكونُ خفية، ولا تكونُ إلا عن رضا المسلمين.





وذهب عليٌّ إلى المسجد، وصعد المنبر، فاجتمع النَّاسُ إليه، فقال:

إني قد كنتُ كارهًا أمركم «أي كارهًا أن أكون أميرًا عليكم»، فأبيتُم إلا أن أكون عليكم، ألا وإنه ليس لي أمرٌ دونكم، إلا أن مفاتيح مالكم معي، ألا وإنه ليس لي أن آخذ درهمًا دونكم، رضيتُم؟ قالوا: نعم.



موقعة الجمل

جاء عليًّا خبرُ خروج عائشة وطلحة والزُّبير، فخرج وهو يرجو أن يلحق بهم في الطريق، فيحول بينهم وبين الخروج، ولكن بلغه أنهم فاتُوه «أي سبقوه»، فعزم على أن يخرج في آثارهم، وسار عليٌّ حتى نزل بجيشه بحيال جيوش عائشة وطلحة والزُّبير، وراح بعضُهم يخرجُ إلى بعض، ولا يتحادثون إلا في الصُّلح، وخشي قتلةُ عثمان أن يتفق الطَّرفان، ويتمَّ الصُّلح، وأن يقع عليهمُ العقاب، فقاموا في عماية الصُّبح، وانسلُّوا إلى المعسكر الآخر، وأخذوا يضربون الناس بأسيافهم؛ فانتشرت الجلبة، فخرج عليٌّ يسألُ عن الخبر، فقيل له:

- فُجئنا بقوم منهم يهجمُون علينا، فرددناهم.

فصاح عليّ: أيُّها الناس كُفُّوا.

أسرع رجلٌ إلى عائشة. فلما دخل عليها، قال لها:

- أدركي، فقد أبي القومُ إلا القتال، لعلَّ الله يُصلحُ بك.





وخرجت عائشة، وحمل النَّاسُ هودجها، وشدُّوه إلى الجمل، وأقبلت عائشةُ على هودجها، فلما برزت من البيوت وكانت بحيث تسمعُ الغوغاء، وقفت فلم تلبث أن سمعت ضوضاء شديدة، فقالت:

- ما هذا؟
- ضجةُ العسكر.
- بخير أو بشرّ.
- بشرّ.

فقالت للآخذ بخطام جملها:

- تقدَّم بكتاب الله عَزَّوَجَلَّ، فادعُهم إليه.

فخرج الرجلُ يحملُ المصحف، ويدعوهم إلى كتاب الله، فخشي قتلةُ عثمان الصُّلح، فرشقوا الرَّجل رشقًا واحدًا فقتلوه، وراحوا يرمون عائشة في هودجها، فنادت:

- يا بَنِيّ، البقية البقية، الله الله، اذكروا الله عَزَّوَجَلَّ والحساب.

ولكنَّ قتلة عثمان صمَّوا آذانهم، فقالت عائشةُ للناس:

- أيُّها النَّاس، العنوا قتلة عثمان وأشياعهم.







وأخذت تدعو، وارتفعت أصواتُ النَّاس بالدُّعاء، وسمع عليٌّ بن أبي طالب جلبة، فقال:

ما هذه الضجَّة؟

فقالوا له: عائشةُ تدعو، ويدعون معها على قتلة عثمان وأشياعهم. فدعا عليّ:

اللَّهُمَّ العن قتلة عثمان وأشياعهم.

وخرج رجلٌ من أنصار عليٍّ على فرسه بين الصَّفَّين، فقال:

أيُّها الناس، ما أنصفتُم نبيّكم حيث أبرزتُم عقيلته «زوجته عائشة» للسيُّوف.

فرشقوه بالنَّبل، فحرَّك فرسه، وذهب إلى عليٍّ بن أبي طالب، وقال:

ماذا تنتظرُ يا أمير المؤمنين، وليس لك عند القوم إلا الحرب.

وجد الإمامُ عليٌّ أن لا مفرَّ من الحرب، فقام فقال:





❁ أيُّها الناس، إذا هزمتُموهم فلا تُجهزوا على جريح، ولا تقتُلوا أسيرًا، ولا تتبعوا مُولِّيًا، ولا تطلبُوا مدبرًا «هاربًا»، ولا تكشفوا عورة، ولا تُمثِّلوا بقتيل، ولا تقربوا من أموالهم إلا ما تجدونه في عسكرهم من سلاح أو عبدٍ أو أمةٍ، وما سوى ذلك فهو ميراثٌ لورثتهم على كتاب الله.

وخرج عليٌّ بنفسه على بغلة رسول الله ﷺ، لا سلاح عليه، فنادى:

❁ يا زُبيرُ، اخرج إليّ.

فخرج الزُّبير وهو يحملُ سلاحه، فقيل لعائشة؛ إن الزُّبير قد خرج لعليّ، فأحست رُعبًا، فقد كانت تعلمُ أن مصير من يخرجُ لمبارزة عليٍّ الموت، فأشفقت على زوج أُختها أسماء، وأظهرت جزعها. فقيل لها إن عليًّا قد خرج لا سلاح عليه، فاطمأنَّت.

❁ واعتنق كلُّ واحدٍ منهما صاحبه «أي تعانقا»، فقال عليٌّ للزُّبير في عتاب:

❁ ويحك يا زُبير! ما الذي أخرجك؟

❁ دمُ عثمان.






أمـا تذكـرُ يوم لقيت رسـول الله ﷺ في بنـي بياضه، وهو راكبٌ حماره، فضحك إليَّ رسول الله، وضحكت أنت معه، فقلت أنت: يا رسـول الله، ما يدعُ عليٌّ زهوه، فقال لك: ليس به زهـو. أتُحبُّه يا زُبير؟ فقلت: إني والله لأحبُّه، فقال لك: إنك والله ستُقاتُله وأنت له ظالم؟

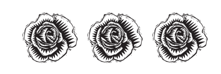
فقال الزُّبير:

- أستغفر الله، لو ذكرتُها ماخرجت.
- يا زُبيرُ ارجع.
- وكيـف أرجـعُ الآن وقد اجتمع الجيشـان للقتال! وهذا والله هو العارُ الذي لا يُغسل.
- يـا زُبير ارجع بالعار، قبـل أن تجمع العار والنار. فخرج الزُّبير وقد طأطأ رأسه، وسار ليترك ميدان القتال.

ودارت المعركة واشتدت، فزحف الإمامُ نحو الجمل بنفسه، في كتيبته الخضراء من المهاجرين والأنصار، وحوله بنوهُ الحسـنُ والحسينُ ومحمـدُ بـن الحنفيـة، ودارت رحـى المعركـة الرَّهيبة،



فحمـل الإمامُ حملةً واحدة، فدخل وسـط جيش عائشـة، وراح يـضربُ بسـيفه، والرجالُ تفرُّ من بين يديـه، وتجري هنا وهناك، حتـى خضَّـب الأرض بدماء القتـلى، ثم رجع وقد انثنى سـيفُه، فأقامه بركبته.







جيش معاوية

وبدأت الهزيمة تدبُّ في صفوف معاوية وكان جيش معاوية هـو الفئـة الباغية، ومع هـذا فالكل مأجور ومعذور ومشـكور، فعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اجتهد وأصاب فله أجران، ومعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اجتهد وأخطأ فله أجر وهـو كما قال العلماء: فإن أصحاب الجنة تقاتلوا بالسيوف.







موقعة صفين

انتـصر الإمام عليٌّ في موقعـة الجمل، وقتل طلحـة والزُّبير، وعـادت عائشـةُ إلى المدينة مُعـززةً مُكرمـة، وبايع النـاسُ عليًّا، فاجتمـع له بيعةُ أهـل الحرمين، وأهـل العراق، وأهـل الحجاز، وأهـل اليمـن، وأهل مصر، ولم يبق إلا أهلُ الشَّـام، فأرسـل إلى مُعاوية، الذي كان واليًا على الشام من قبل عثمان بن عفان، كتابًا جاء فيه.

«بسم الله الرحمن الرحيم.

فـإنَّ بيعتـي بالمدينـة لزمتـك وأنـت بالشـام، لأنـه بايعنـي القـومُ الذيـن بايعـوا أبـا بكـر وعمـر وعثمان، علـى مـا بايعـوا عليه».

وطلـب منه أن يدخل فيما دخل المسـلمون، وإلَّا قاتله حتى لا تتفرَّق كلمةُ المسلمين.

ولكن لم تجتمع كلمة المسلمين وكانت الحرب والمواجهة.







أشـفق الجميعُ من الحرب، وخرج قـراءُ أهل العراق، وقُرَّاءُ أهل الشام، وعسكروا ناحية صفِّين، وذهب قُرّاءُ أهل العراق إلى مُعاووية فلما دخلوا عليه قالوا له:

- يا مُعاوية، ما الذي تطلُب؟
- أطلب بدم عثمان.
- ممن تطلبُ بدم عثمان؟
- من عليّ.
- وعليٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قتله؟
- نعم، هو قتله وآوى قاتليه.

وانصرفوا من عنده، فدخلوا على عليّ، فقالوا:

- إن مُعاوية يزعم أنَّك قتلت عثمان.
- اللهم يكذبُ فيما قال ... لم أقتله.

واستمرت السفاراتُ ثلاثة أشـهر، واسـتمرَّ الإمامُ يجادلُ رسُـل مُعاويـة، ليُقنعهم أنـه لم يأمـر بقتل عثـمان، ويدعوهم إلى كتـاب الله عَزَّوَجَلَّ، ولكـنَّ رسـل مُعاوية لم يقتنعـوا، وخرجوا من





عنده وقد عزموا على الحرب، فقال الإمام: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ۝٨٠ وَمَا أَنتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَن ضَلَالَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾ [النمل: ٨٠ - ٨١].

تأهَّب الجيشان للقتال، ثم اختلط الرِّجال، ونشبت الحرب، وسقط الرِّجال قتلى، فقام الإمامُ بين الصِّفين ثم نادي:

 يا مُعاوية! ما مُعاوية!

فقال مُعاوية: اسألُوه ما شأنُه؟

فقال عليّ: أُحبُّ أن يظهر لي، فأكلمهُ كلمةً واحدة.

فخرج بين الصِّفين مُعاويةُ، فلمَّا قارب عليًّا: قال له عليٌّ ويحك! علام يقتتل الناس بيني وبينك، ويضرب بعضهم بعضا؟ ابرز إليَّ فأيُّنا قتل صاحبه فالأمرُ له.

وخاف معاوية وربط المصحف بالسيف، وربط أهل الشام المصاحف على أطراف الرماح وطلبوا التحكيم.







التحكيم

دار القتالُ رهيبًا في «صفِّين» بين الإمام عليٍّ ومُعاوية، وأحسَّ مُعاوية أن الغلبة لعليّ، فأمر أهل الشام برفع المصاحف على الرِّماح، فاستقبل أهلُ الشام عليًّا بمائة مُصحف، ووضعوا في كل مُجنبةٍ مائتي مُصحف، ثم قام رجالٌ من أهل الشام ونادوا:

- يا معشر العرب، الله الله في نسائكم وبناتكم. فمن للرُّوم والأتراك وأهل فارس غدًا إذا فنيتُم. هذا كتابُ الله بيننا وبينكم.

وخُدع أهلُ العراق، فقالوا لعليّ:

- يا عليّ، أجب القوم إلى كتاب الله، إذ دُعيت إليه، وإلَّا قتلناك.

وقبل عليّ هذه الخديعة وهو كاره، وجاءه أحدُ الذين يُحبذون التحكيم من رجاله، وقال له:





يا أمـير المؤمنين، ما أرى النَّاس إلا وقد رضُوا، وسرَّهم أن يُـجيبوا القوم إلى ما دعوهم إليه من حُكم القرآن، فإن شـئت أتيتُ مُعاوية، فسألتُه ما يريد، ونظرتُ ما الذي يسأل.

إيته إن شئت.

فأتاه فسأله، فقال:

يا معاوية، لأيِّ شيء رفعتُم هذه المصاحف؟

لنرجع نحن وأنتم إلى ما أمر الله به في كتابه، فابعثُوا منكم رجـلًا ترضون بـه، ونبعث منَّا رجلًا، ثم نأخـذُ عليهما أن يعملا بما في كتاب الله، لا يعدُوانه، ثم نتبعُ ما اتفقنا عليه.

هذا هو الحقُّ.

وقال النَّاس: قد رضينا بحكم القرآن.

وقال أهلُ الشَّام: فإنا رضيناواخترنا عمرو بن العاص.

وقـال بعضُ أهل العراق: فإنا قد رضينا واخترنا أبا موسـى الأشعري.

وكُتبت وثيقةُ الصُّلح على أن عليًّا ومن معه من أهل العراق، ومعاوية ومن معه من أهل الشَّام، قد نزلا عند حُكم الله وكتابه،



فـإذا لم يجد أبو موسـى الأشـعريُّ وعمرو بن العـاص في القرآن حُكـما، حكما بما يجـدان في السُّـنَّة العادلة غير المفرَّقـة، وعلى عليٍّ ومُعاوية وتبيعتهما وضعُ السلاح إلى انقضاء هذه المدَّة، وهي من رمضان إلى رمضان، على أن يرجع أهلُ العراق إلى العراق، وأهلُ الشَّام إلى الشَّام، وعلى أن يكون الاجتماعُ إلى دُومة الجندل.

ووقَّع عـليٌّ الوثيقة، وقام رجلٌ إلى الإمام عليٍّ أمير المؤمنين، وقال له:

❁ يا أمير المؤمنين، ما إلى الرُّجوع عن هذا الكتاب سبيل؟ فوالله إنِّي لأخافُ أن يورث ذُلًا.

فقال عليّ: أبعد أن كتبناهُ ننقُضُه؟ إن هذا لا يحل.

وندم أناسٌ من أصحاب عليٍّ على قبول التحكيم، بعد فوات الأوان، كما هي عادتُهم، فنادوا من كلِّ جهة، وفي كلِّ ناحية:

❁ لا حُكْـمَ إلَّا الله، الحكـمُ لله يا عليُّ لا لـك. لا نرضى أن يحكـم الرجـالُ في ديـن الله، إن الله قـد أمـضى حكمـه في مُعاوية وأصحابه، أن يُقتلوا أو يدخلوا في حكمنا عليهم. وقد كانت منا



زلَّـةٌ حين رضينا الحكمين، فرجعنـا وتُبنا، فارجع أنت يا عليُّ كما رجعنا، وتب إلى الله كما تُبنا، وإلَّا برئنا منك.

ما كان عليٌّ ممن ينقُض عقدًا، فقال لهم:

ويحكـم! أبعد الرِّضا والميثاق نرجـع؟ أو ليس الله تَعَالَىٰ قـال: ﴿أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾ [المَائِدَة: ١]؟ وقـال: ﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ﴾ [النَّحۡل: ٩١]؟ وأبى عـليٌّ أن ينقُـض عهـده، وأبى هـؤلاءِ الرجالُ إلَّا أن يخرجُوا عليه، ولذلك سـمُوُّا «الخوارج» وعاد الإمامُ إلى الكوفة، وفارقه الخوارج.









مقتل علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ

كانت قطامُ ابنةُ الشِّجنَّة فائقة الحُسن، وكانت تكرهُ الإمام علي بن أبي طالب، فقد قتل أباها وأخاها يوم النَّهرُوان، يوم قاتل الخوارج، فكانت لا تفكِّر إلَّا في قتل عليّ، والثأر لأهلها.

وفي ذات يومٍ جاء عبد الرحمن بنُ مُلجم إلى بعض الخوارج، فرأى قطام عندهم، فأسره جمالها، وشغلته حتى كادت تُنسيه حاجته.

وتمكَّن حبُّ قطام من قلب ابن مُلجم، فتقدَّم يخطُبها، فقالت له:

- لا أتزوَّجُك حتى تشفي لي.
- وما يشفيك؟
- ثلاثةُ آلافٍ وعبدٌ وقينةٌ.

وقتلُ عليٍّ بالسيف.






فقال ابن ملجم:

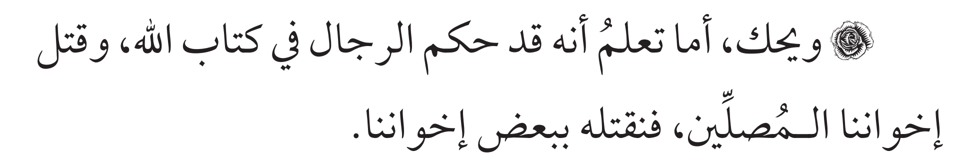
- هو مهرٌ لك، فوالله ما جاء بي إلى هذا القطر إلَّا قتلُ عليّ، فلك ما سألت.
- إنِّي أطلبُ لك من يسندُ ظهرك، ويُساعدك على أمرك.

وأقام ابن مُلجم عند قطام، ومرَّت الأيام ولم ينفذ ما عزم عليه. فاستولت عليها الوساوس، وخشيت أن يُحجم عمَّا عزم، فالتفتت إليه وقالت:

- لطالما أحببت المكث عند أهلك، وأضربت عن الأمر الذي جئت بسببه.
- إنَّ لي وقتًا واعدتُ فيه أصحابي، ولن أجاوزه. وخرج ابن ملجم فلقيه رجلٌ من الخوارج، فقال له:
- هل لك في شرف الدنيا والآخرة؟
- وما ذاك؟
- تساعدُني على قتل عليّ.
- ثكلتك أمُّك، لقد جئت شيئًا إدًّا، قد عرفت غناءه في الإسلام، وسابقته مع النبي ﷺ.





- ويحك، أما تعلمُ أنه قد حكم الرجال في كتاب الله، وقتل إخواننا الـمُصلِّين، فنقتله ببعض إخواننا.

- وكيف نقدرُ ويحك على قتل ابن أبي طالب؟

- نكمن له في المسجد الأعظم، فإذا خرج لصلاة الفجر، فتكنا به وقتلناه، وشفينا أنفسنا منه، وأدركنا ثأرنا.

فلم يزل به حتى أجابه. وذهب ابن مُلجم وصاحبهُ إلى قطام، وهي في المسجد الأعظم معتكفة، فقالا لها:

- قد أجمع رأينا على قتل عليّ.

- فإذا أردتُم ذلك فأتوني.

ووافي اليومُ الذي تواعد فيه الخوارجُ على قتل عليٍّ ومعاوية وعمرو، فدخل ابن مُلجم على قطام، فقال لها:

- هذه الليلةُ التي واعدتُ فيها صاحبيَّ أن يقتل كلُّ واحدٍ منّا صاحبه.

وجاء ذلك الذي أجابه إلى الاشتراك معه في قتل عليّ، فقالت لهما قطام: إن ثالثًا سيخرجُ معهما لقتل عليّ، وجاءت بالحرير





فعصبتهـم بـه، وأخذوا أسـيافهم، وذهبوا إلى المسـجد، لاغتيال أمير المؤمنين.

وخـرج عـليّ، وجعل يُنهض النـاس من النـوم إلى الصَّلاة، ويقول:

❁ الصَّلاة الصَّلاة.

فهجم عليه أحدُهم، وضربه بالسَّـيف، ثم ضربه ابن مُلجم بالسَّيف على قرنه، فسال دمُه على لحيته، وصاح ابن ملجم:

❁ لا حكـم إلَّا لله، ليس لك يا عـليُّ ولا لأصحابك. ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله، والله رءوفٌ بالعباد.

وقال عليّ: لا يفوتنَّكم الرجل.

وهـم النَّاسُ على ابـن مُلجم من كلِّ جانـب، حتى أخذوه. وحُمل الإمامُ، حتى إذا استقرَّ في داره قال:

❁ عليَّ بالرجل.

فأُدخل عليه، فالتفت إليه وقال:

❁ أي عدوَّ الله، ألم أُحسن إليك؟









بلى.

فما حملك على هذا؟

شحذتُه أربعين صباحًا، وسألتُ الله أن يقتل به شرَّ خلقه.

لا أراك إلا مقتولًا به، ولا أراك إلا من شرِّ خلقه.

ونظر الإمام إلى الحسن، وقال:

أطيبوا طعامه، وألينوا فراشه، فإن أعش فأنا وليُّ دمي، إمَّا عفوتُ وإمَّا اقتصصت، وإن أمتْ فألْحقوه بي، ولا تعتدوا، إنَّ الله لا يُحبُّ المعتدين.

وخرج الحسنُ بابن ملجم وهو مكتوف، فخرجت أمُّ كُلثوم ابنةُ الإمام تبكي وتنتحبُ وتقول:

يا عدوَّ الله قتلت أمير المؤمنين.

ما قتلتُ أمير المؤمنين، ولكن قتلتُ أباك.

والله إني لأرجو أن لا يكون عليه بأس.





- ولم تَبكين إذن؟ والله لقد أهفتُ السَّيف، ونفيتُ الخوف، وضربتُ ضربةً لو كانت بأهل الشَّرق لأتت عليهم.

وحمل صاحبُ معاوية عليه وهو خارجٌ إلى صلاة الفجر، فضربهُ بخنجر مسموم، فجاءت الضربةُ في وركه، وأُمسك بالرَّجُل، وجيء به إلى معاوية، فقال:

- اتركني، فإنّي أُبشِّرك ببشارة.

فقال معاوية:

- وما هي؟

- إنَّ أخي قتل في هذا اليوم عليَّ بن أبي طالب.

- فلعلَّه لم يقدر عليه!

- بلى، إنَّهُ لا حرس معه.

وأمر معاويةُ به فقُتل.

وأما صاحبُ عمرو، فإنه كمن له، ليخرج إلى الصَّلاة، فاتَّفق أن عرض لعمرو بن العاص مغص شديدٌ في ذلك اليوم، فلم يخرج إلا نائبهُ إلى الصلاة، وهو خارجةُ بن أبي حبيبة، فحمل



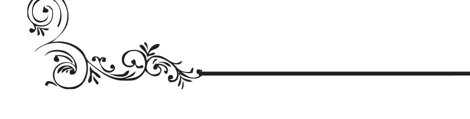
عليـه الرَّجل، فقتله وهو يعتقدُه عمرو بـن العاص، وقُبض على الرَّجل، وجيء به إلى عمرو، فقال:

أردتُ عمرًا وأراد الله خارجة.

فأمر عمروٌ به فضُربت عنقُه.

ونجـا مُعاويةُ وعمرو، وراح الإمام يعاني سـكرات الموت. حتـى توفاه الله عَزَّوَجَلَّ، وقتل ابن ملجم، وأخـذه الناس وحرقوه حزنًا على علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.









خلافة الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

لما قتل علي بايع الناس ابنه الحسن بالخلافة، وأول من بايعه قيس بن سعد فقال له: ابسط يدك أبايعك على كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وعلى سنة نبيه وقتال المحلين. وبايع الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عددًا كبيرًا من المسلمين، فلما رأى الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تفرق الأمة واشتعال الفتنة وهذا الأمر ليس فيه خير لنفسه ولا لأمته، والخير أن يتنازل عن الخلافة لمعاوية، وبالفعل سلم الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الكوفة لمعاوية، وبذلك تحقق ما قاله رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين قال: «إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين طائفتين من المسلمين» وبموقف الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هدأت الأحوال وسمي المسلمون ذلك العام وهو السنة الحادية والأربعون من الهجرة «بعام الجماعة» أما فترة خلافة الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقد كان خليفة على أهل العراق من عام (٤١هـ) ثم تنازل عن الخلافة في نفس العام لمعاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.









خلافة عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ

كان عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ يتشبه بالخليفة الراشد عمر ابن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وهو جده لأمه، كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ مثالًا عظيمًا للإمام العادل والقيام على أحوال الرعية، وكان مثالًا عظيمًا في العبادة والزهد والورع والتقوى والخوف من الله عَزَّوَجَلَّ، وقد تولى الخلافة سنة سبع وثمانين من الهجرة، وكان عمره خمسًا وعشرين سنة، حتى توفاه الله عَزَّوَجَلَّ وعمره ما يقرب من تسع وثلاثين سنة.

والعلماء اعتبروه من الخلفاء الراشدين لأمرين:

الأمر الأول: أن بيعة الناس له بالخلافة كانت تشبه بيعة الخلفاء الراشدين.

الأمر الثاني: أنه أعاد العمل بكتاب الله وسنة رسوله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنه كان يتشبه بالخليفة الراشد عمر بن الخطاب.









فهرس





هذا الكتاب منشور في

